هداية المشتاق

لمحاسن الأخلاق

تأليف

عبد الله حسين أحمد شقيبل

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح) دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
شقيبل ، عبدالله حسين أحمد
هداية المشتاق لمحاسن الأخلاق.- الرياض.
٨٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٨ - ٦٢٩ - ٣٣ - ٩٩٦٠
١ - الأخلاق الإسلامية أ - العنوان
ديوي ٢١٢.٢ ٢٣/٣٣٣٥

رقم الإيداع: ٢٣/٣٣٣٥
ردمك: ٨ - ٦٢٩ - ٣٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

العنوان: الرياض - طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون
للمراسلات: الرمز البريدي: ١١٤٤٢ - ص.ب: ٦٣٧٣
هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠
• البريد الإلكتروني: sales@dar-alqassem.com
• موقعنا على الإنترنيت www.dar alqassem.com

عن معاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : **«اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها ، وخالق النَّاس بخلقٍ حسنٍ»**[1] .

---

(١) رواه التِّرمذي (٤/ ٣٥٥) . رقم ١٩٨٧ وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .
والحديث حسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٧ .

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله.

وبعد..

فإنَّ الخُلُقَ الحَسَن صفةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، الذي قال له خالقُهُ وبارئُهُ مُثنياً عليه: ﴿وإنَّكَ لعلىٰ خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم: ٤].

والرَّسول ﷺ إنَّما بُعِثَ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالح الأخلاق»**(١).

«وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ البرَّ: هو حسن الخُلُق، فعن النَّواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم، فقال: **«البرُّ حسنُ الخُلُق، والإثمُ ما حاك في صدرك وكرهت أنْ يطَّلع عليه النَّاس»**(٢)، فقابل البر بالإثم وأخبر أنَّ البرَّ حسن الخلق، والإثم: حواز الصُّدور، وهذا يدلُّ على أنَّ حسن الخلق هو الدِّين كلُّه، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام؛ ولهذا قابله بالإثم»(٣).

وحُسْنُ الخُلُق وصِيَّةٌ أوصى بها سيدُ الخلق ﷺ أصحابه بل أُمَّتَهُ بعد أنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، رقم ٨٩٣٩.
والبخاري في الأدب المفرد ص ١٠٤، رقم ٢٧٣.
والحديث صحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٢٠٧، وفي سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ٤٥.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٠)، رقم ٢٥٥٣.

(٣) مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (٢/ ٣٠٦).

أوصاهم بتقوىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فعن معاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلقٍ حسنٍ»**[١].

ولذلك فإنَّه ممَّا ينبغي علىٰ المسلم أن يعرفهُ ويتوقف عندهُ كثيراً، مُتأمِّلاً ودارِساً ومُطَبِّقاً، هو الخُلُق؛ وذلك لأنَّ الإنسان بهذا الخُلُق الذي يَتحلَّىٰ به يكون تعامله مع عباد الله، ويترتَّب علىٰ ذلك حقوقٌ، إمَّا له عليهم، أو عليه لهم.

وانطلاقاً من هذا المبدأ جاء هذا البحث المتواضع، والذي وسمته بـ «هِدَايَةُ المشتاق لمحاسن الأخلاق»، وسلَّطتُ الضَّوءَ فيه علىٰ النِّقاط التَّالية: معنىٰ الخُلُق، ومبادئه، ومصادره، وأنواعه، وأركان الخُلُق الحَسَن، وثمراته، وأركان الخُلُق السَّيِّئ، وعواقبه.

سائلاً المولىٰ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يَضعَ فيما كَتَبتُ النَّفعَ والقبول، وأنْ يكونَ هذا العملُ خالصاً لوجههِ الكريم.

عبدالله بن حسين بن أحمد شقيل

ينبع الصناعية ـ ١٨/ ٣/ ١٤٢١هـ

---

(١) رواه التِّرمذي (٤/ ٣٥٥)، رقم ١٩٨٧ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
والحديث حسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٧.

معنى الخلق

«الخُلُق - بضمِّ اللام وسكونها - هو: الدِّينُ والطَّبعُ والسَّجيَّة.

وحقيقته أنَّه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختلفة»(١).

«يُرَادُ بالخَلْقِ الصُّورة الظَّاهرة، ويُرَادُ بالخُلُقِ الصُّورة الباطنة، وذلك لأنَّ الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدركٍ بالبصر ومن روحٍ ونفسٍ مدركةٍ بالبصيرة، ولكلِّ واحدٍ منهما هيئةٌ وصورةٌ إما قبيحة وإمَّا جميلة، فالنَّفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عَظَّمَ الله أمر الإنسان بإضافته إليه إذ قال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]، فَنَبَّهَ على أنَّ الجسد منسوبٌ إلى الطِّين والرّوح إلى ربِّ العالمين، والمراد بالروح والنَّفس في هذا المقام واحدٌ، فالخُلُق عبارةٌ عن هيئةٍ في النَّفس راسخةٍ، عنها تصدر الأفعال بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى فكرٍ ورويَّةٍ، فإنْ كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُمِّيَت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإنْ كان الصَّادر عنها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً»(٢).

«وليس الخُلُق عبارةً عن الفعل، فرب شَخْصٍ خُلُقُهُ السَّخاء ولا يبذل؛ إمَّا لفقد المال أو لمانع، وربَّما يكون خُلُقُهُ البخل وهو يبذل؛ إمَّا لباعثٍ أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القوة؛ لأنَّ نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضِّدين واحدٌ، وكلُّ إنسانٍ خُلِقَ بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك، وذلك

(١) لسان العرب. (٤/ ١٩٤).

(٢) إحياء علوم الدين. (٣/ ٥٣).

لا يوجب خلق البخل ولا خلق السَّخاء.

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإنَّ المعرفة تتعلَّق بالجميل والقبيح جميعاً على وجهٍ واحدٍ.

بل هو عبارة عن المعنى الرَّابع، وهو الهيئة التي بها تستعدُّ النَّفس لأنْ يصدر منها الإمساك أو البذل»[١].

« فالخُلُقُ إذاً عبارةٌ عن هيئةٍ للنَّفس وصورتها الباطنة، بها تميل إلى أحد الجانبين، ويتيسَّر عليها أحد الأمرين إمَّا الحسن وإمَّا القبيح»[٢].

---

(١) المصدر السابق. (٣/ ٥٣).

(٢) المصدر السابق. (٣/ ٥٣).

مبادئ الأخلاق

«المبدأ: جمعه مبادئ.
ويُطلَقُ بمعنىٰ الأصل والسَّبب»(١).

«ومبدأ الشَّيء: أوَّله ومادته التي يتكَّون منها، كالنَّواة مبدأ النَّخل، أو يتركَّب منها، كالحروف مبدأ الكلام.

ومبادئ العلم أو الفنِّ أو الخُلُق أو الدُّستور أو القانون: قواعده الأساسية التي يقوم عليها، ولا يخرج عنها»(٢).

وبذلك تكون مبادئ الأخلاق هي: قواعده الأساسية التي يقوم عليها، وأصوله التي لا يخرج عنها.

وللأخلاق أربعة مبادئ هي بمثابة القوىٰ التي يقوم عليها وهي:

١ ـ قوة العلم. ٢ـ قوة العدل. ٣ـ قوة الغضب. ٤ـ قوة الشَّهوة.

أولاً: قوة العلم:

العلم والعدل قوتان مُتَأثِّرتَان بِبَعضِهِمَا البعض.

فالعلم لابدَّ لهُ من اعتدالٍ، واعتدالُهُ يكون بموافقته للكتاب والسُّنَّة، وحياده عن الاعتدال ـ أي عن الكتاب والسُّنَّة ـ يكون إمَّا إلىٰ التَّفريط المُؤدي إلىٰ الجهل، فيرىٰ صاحبُه الحَسَنَ في صورة القبيح، والقبيحَ في صورة الحَسَنِ، والكمالَ نقصاً، والنقصَ كمالاً، وإمَّا إلىٰ الإفراط المؤدِّي إلىٰ الضَّلال، فيرىٰ صاحبُه السُّنَّة بدعةً، والبدعةَ سنَّةً، والحَقَّ باطلاً، والباطلَ حقّاً.

والعدل لابد له من علم يُوضِّح معالمه، وبذلك يكون الاعتدال في قوة العلم

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام. ص ٤٨.

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٢).

هو باتباع الكتاب والسُّنَّة اللذين هما ناران ينيران سبل قوة العدل.

وكلا القوتين لا تتحقَّقان إلاَّ بتقوىٰ الله التي هي: « طاعته بامتثال أوامره واجتناب ناهيه؛ رغبةً في ثوابه وخوفاً من عقابه » (١).

فالعلم الموافق للكتاب والسُّنَّة لا سبيل إلىٰ بلوغه إلاَّ بتقوىٰ الله؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والعدل أيضاً كذلك لا سبيل إلىٰ تحقيقه إلاَّ بالتَّقوىٰ؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ثانياً: قوة العدل:

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٢].

«العَدْلُ: ما قامَ في النُّفوس أنَّه مستقيمٌ» (٢).

« والاعتدال: توسُّطُ حالٍ بين حالين في كَمٍّ أو كيفٍ» (٣).

«ونعني بالعدل: حالةٌ للنَّفس، وقوةٌ بها تسوس الغضب والشَّهوة، وتحملهما علىٰ مقتضىٰ الحكمة، وتضبطهما في الاسترسال والانقباض علىٰ حسب مُقتضاها» (٤).

وقوة العدل تحمل الإنسان علىٰ الاعتدال في جميع خصال أخلاقه وتوسّطه فيها بين طرفي الإفراط والتَّفريط، «فكلُّ خُلُقٍ محمودٌ مكتنفٌ بخلقين ذميمين، وهو وسطٌ بينهما، وطرفاه خلقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خُلُقَا البخل والتَّبذير، والتَّواضع: الذي يكتنفه خُلُقَا الذُّل والمهانة والكبر والعلو.

---

(١) تذكرة من اتقى . ص ١٢

(٢) لسان العرب (٩/ ٨٣)

(٣) لسان العرب (٩/ ٨٥)

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٤).

فإنَّ النَّفس متى انحرفت عن التَّوسُّط انحرفت إلى أحد الخُلُقين الذَّميمين ولابدَّ، فإذا انحرفت عن خلق التَّواضع انحرف: إمَّا إلى كبرٍ وعلوٍّ وإمَّا إلى ذلٍّ ومهانة وحقارة، وإذا انحرفت عن خُلُق الحياء انحرفت: إمَّا إلى قحةٍ وجراءةٍ وإمَّا إلى عجزٍ وخورٍ ومهانةٍ، بحيث يطمع في نفسه عدوه، ويفوته كثيرٌ من مصالحه، ويزعم أنَّ الحامل له على ذلك الحياء، وإنَّما هو المهانة والعجز وموت النَّفس، وكذلك إذا انحرفت عن خلق الصَّبر المحمود انحرفت: إمَّا إلى جزعٍ وهلعٍ وجشعٍ وتسخُّطٍ وإمَّا إلى غلظة كبدٍ وقسوة قلبٍ وتحجُّر طبعٍ، كما قال بعضهم:

تبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ فنحن أغلظ أكباداً من الإبل

وإذا انحرفت عن خلق الحلم انحرفت: إمَّا إلى الطَّيش والتَّرف والحدَّة والخفَّة وإمَّا إلى الذُّل والمهانة والحقارة، ففرقٌ بين من حلمه حلم ذلٍّ ومهانةٍ وحقارةٍ وعجزٍ وبين من حلمه حلم اقتدارٍ وعزَّةٍ وشرفٍ كما قيل:

كل حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ حجَّةٌ لاجئٌ إليها اللئام

وإذا انحرفت عن خلق الأناة والرِّفق انحرفت: إمَّا إلى عجلةٍ وطيشٍ وعنفٍ وإمَّا إلى تفريطٍ وإضاعةٍ، والرِّفق والأناة بينهما، وإذا انحرفت عن خلق العزَّة التي وهبها الله للمؤمنين انحرفت: إمَّا إلى كبرٍ وإمَّا إلى ذلٍّ، والعزَّة المحمودة بينهما، وإذا انحرفت عن خلق الشَّجاعة انحرفت: إمَّا إلى تَهَوُّرٍ وإقدامٍ غير محمودٍ وإمَّا إلى جبنٍ وتأخُّرٍ مذمومٍ، وإذا انحرفت عن خلق المنافسة في المراتب العالية والغبطة انحرفت: إمَّا إلى حسدٍ وإمَّا إلى مهانةٍ وعجزٍ وذُلٍّ ورضاً بالدُّون، وإذا انحرفت عن القناعة انحرفت: إمَّا إلى حرصٍ وكَلَبٍ وإما إلى خسةٍ ومهانةٍ وإضاعةٍ، وإذا انحرفت عن خلق الرَّحمة انحرفت: إمَّا إلى قسوةٍ وإمَّا إلى ضعف قلبٍ وجبنِ نَفْسٍ، كمن لا يُقْدِم على ذبح شاةٍ ولا إقامة حَدٍّ وتأديب ولدٍ، ويزعم أنَّ الرَّحمة تحمله على ذلك، وقد ذبح أرحم الخلق ﷺ بيده في موضعٍ واحدٍ ثلاثاً وستين بدنةً، وقطع الأيدي من الرِّجال والنِّساء، وضرب

الأعناق ، وأقام الحدود، ورجم بالحجارة حتى مات المرجوم، وكان أرحمَ خلقِ الله على الإطلاق وأرأفهم، وكذلك طلاقة الوجه والبِشْرِ المحمود فإنَّه وسطٌ بين التَّعْبِيسِ والتَّقْطِيبِ وتصعيرِ الخدِّ وطَيِّ البِشْرِ عن البَشَرِ وبين الاسترسالِ مع كلِّ أحدٍ بحيث يُذهبُ الهَيْبَةَ، ويزيلُ الوقارَ، ويُطْمِعُ في الجانب، كما أنَّ الانحراف الأوَّل يوقعُ الوحشةَ والبُغْضَةَ والنَّفْرَةَ في قلوبِ الخَلْقِ .

وصاحب الخُلُقِ الوسط : مهيبٌ، محبوبٌ، عزيزٌ جانبه، حبيبٌ لقاؤه، وفي صفة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من رآه بديهةً هابهُ، ومن خالطهُ عشرةً أحبَّهُ، و ـ الله أعلم ـ »[(١)] .

ثالثاً: قوة الغضب:

الغضب والشَّهوة قوتان إراديَّتانِ مُتَأثِّرتان بالقُوَّتَيْنِ الأُولَيَيْن العلم والعدل .

فالعلم الشَّرعي الموافق للكتاب والسُّنَّة يَنحَى بقوةِ الغضب إلى الاعتدال فينتج عن ذلك الشَّجاعة، وينحى بقوة الشَّهوة إلى الاعتدال أيضاً فينتج عن ذلك العفَّة .

« فالحكمة الإلهية اقتضت تركيب الشَّهوة والغضب في الإنسان، وهاتان القوَّتان فيه بمنزلة صفاته الذَّاتية لا يَنْفَكُّ عنهما، وبهما وقعت المحنة والابتلاء، وعرض لنيل الدَّرجات العلا، واللَّحاق بالرَّفيق الأعلى والهبوط إلى أسفل سافلين، فهاتان القوَّتان لا تدعان العبد حتى تنيلاه منازل الأبرار، أو تضعاه تحت أقدام الأشرار، ولن يجعل الله مَنْ شهوته منصرفةٌ إلى ما أعدَّ له في دار النَّعيم وغضبه حمية لله ولكتابه ولرسوله ولدينه كَمَنْ جعل شهوته منصرفةً في هواه وأمانيه العاجلة وغضبه مقصورٌ على حظِّه ولو انتهكت محارم الله وحدوده وعُطِّلت شرائعه وسننه»[(٢)] .

«فالله ـ سبحانه ـ قد اقتضت حكمته أنْ ركب الإنسان بل وسائر الحيوان على

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣١٠، ٣١١) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٧) .

طبيعةٍ محمولةٍ على قوَّتين: غضبيَّة وشهوانيَّة وهي الإراديَّة، وهاتان القوتان هما الحاملتان لأخلاق النَّفس وصفاتها، وهما مركوزتان في جبلةِ كلِّ حيوانٍ، فبقوة الشهوة والإرادة يجذب المنافع إلى نفسه، وبقوة الغضب يدفع المضار عنها، فإذا استعمل الشَّهوة في طلب ما يحتاج إليه تولَّد منها الحرص، وإذا استعمل الغضب في دفع المضرَّة عن نفسه تولد منه القوة والغيرة، فإذا عجز عن ذلك الضَّار أورثه قوة الحقد، وإنْ أعجزه وصول ما يحتاج إليه ورأى غيره مستبداً به أورثه الحسد، فإنْ ظفر به أورثته شدَّة شهوته وإرادته خُلُقَ البخل والشُّحِّ، وإنْ اشتدَّ حرصه وشهوته على الشَّيء ولم يمكنه تحصيله إلا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه أورثه ذلك العدوان والبغي والظُّلم، ومنه يتولَّد الكبر والفخر والخيلاء، فإنَّها أخلاق متولِّدة من بين قوتي الشَّهوة والغضب، وتزوُّج أحدهما بصاحبه»(١).

العوامل المؤثرة على قوة الغضب:

١ ـ قوتا العلم والعدل.

٢ـ ثالوث الإغواء والإضلال (إبليس، والهوى، والنفس الأمارة بالسُّوء).

فإن كان المُؤَثِّر على هذه القوة هو العلم الشَّرعي الموافق للكتاب والسُّنَّة اعتدلت القوة الغضبية، ونتج عن اعتدالها الشَّجاعة، وتوجَّه الغضب كلُّه لله وفي الله ومن أجل محارم الله.

فالغضب إذا انتهكت محارم الله وكبح جماح النَّفس عن الانتصار للذات يحتاج إلى شجاعةٍ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رجلٌ النبيِّ ﷺ فقال: إنِّي أتأخَّر عن صلاة الغداة من أجل فلان ممَّا يُطيلُ بنا!، فما رأيت النَّبي ﷺ أشدَّ غضباً منه يومئذٍ، فقال: «يا أيُّها الناس، إنَّ منكم لمنفِّرين، فأيُّكم ما

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

صلَّى بالنَّاس فَلْيُوجِزْ ؛ فإنَّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»(١) .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا : من يجترئ عليه إلاَّ أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلَّمهُ أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : **«أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ اللهِ ـ تعالى ـ ؟!»** ، ثم قام فاختطب ، ثمَّ قال : **«إنَّما أهلك من كان قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحدَّ ! ، وأيْمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمَّدٍ سرقت لقطعتُ يدها»**(٢) .

«وعن سِماك بن الفضل ، قال : كُنَّا عند عروة بن محمَّدٍ الأمير ، وإلى جنبه وهب بن منبه ، فجاء قومٌ فشكوا عاملهم ، وذكروا منه شيئاً قبيحاً ، فتناول وهبٌ عصاً كانت في يد عروة ، فضرب بها رأس العامل حتى سال الدَّم ، فضحك عروة واستلقى ، وقال : يَعيبُ علينا وهبٌ الغضَبَ وهو يغضب ، فقال وهبٌ : مالي لا أغضبُ وقد غضب الذي خَلَقَ الأحلام ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ فلمَّا آسفُونا انتقمْنَا منهم ﴾ [الزخرف : ٥٥]»(٣) .

وأمَّا إنْ كان المؤثِّرُ على قوة الغضب هو ما يُمليه إبليس والهوى والنَّفس الأمارة بالسُّوء توجَّهت القوة الغضبيَّة نحو الانتصار للنَّفس ، وانحرفت القوة الغضبية عن الاعتدال ، ونتج عن ذلك تَهَوُّرٌ وطَيْشٌ أو جُبْنٌ وخَوَرٌ ، ولذلك أتت التَّوجيهات في الكتاب والسُّنَّة بالتَّحذير من الغضب والانتصار للنَّفس ، فعن عروة بن محمد السَّعدي عن أبيه عن جدِّه عطية السَّعدي أنَّ رسول الله ﷺ قال : **«الغضب من الشَّيطان ، والشَّيطان من النَّار ، وإنَّما تطفأ النَّار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»**(٤) .

---

(١) المنتقى من السُّنن المسندة ص ـ ٨٩ ـ ، رقم ٣٢٦ .

(٢) متفق عليه : البخاري (٣/ ١٢٨٢) رقم ٣٢٨٨ ، ومسلم (٣/ ١٣١٥) رقم ١٦٨٨ .

(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء . (١/ ٤٤١) .

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٦) ، رقم ١٨٠١٤ ، وأبو داود ، رقم ٤٧٨٤ .

وقال مخرج جامع الأصول : حسن (٨/ ٤٣٩)

«وعن سليمان بن صرد قال: كنت جالساً مع النَّبي ﷺ ورجلان يستَبَّان أحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النَّبي ﷺ: **«إني لأعلم كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشَّيطان ذهب عنه ما يجد»**، فقالوا له: إنَّ النَّبي ﷺ قال تعوَّذ بالله من الشَّيطان، فقال وهل بي جنونٌ» (١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله ـ عنه قال: قال النَّبي ﷺ: **«ليس الشَّديد بالصرعة، وإنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** (٢).

وقال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنَّه وليٌّ حميمٌ (٣٤) وما يلقَّاها إلا الذين صبروا وما يلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم (٣٥) وإمَّا ينزغنك من الشَّيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنَّه هو السَّميع العليم﴾ [فصلت: ٣٤ـ٣٦].

رابعاً: قوة الشَّهوة:

أنواع الشَّهوة عند الإنسان:

١ ـ شهوة الفرج (أي حُبُّ الجماع والجنس).

٢ ـ شهوة اللسان (أي حُبُّ الكلام).

٣ ـ شهوة البطن (أي حُبُّ الأكلِ والشُّرب).

٤ ـ شهوة المال (أي حُبُّ التَّملُّك).

٥ ـ الشَّهوة الخفيَّة « حب اطِّلاع النَّاس على العمل » (٣).

العوامل المؤثرة على قوة الشَّهوة:

١ ـ قوَّتا العلم والعدل.

٢ ـ ثالوث الإغواء والإضلال (إبليس، والهوى، والنَّفس الأمارة بالسُّوء).

فإن كان المُؤثِّر على هذه القوة هو العلم الشَّرعي الموافق للكتاب والسُّنَّة

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣/ ١١٩٥) رقم ٣١٠٨، ومسلم (٤/ ٢٠١٥) رقم ٢٦١٠.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٢٦٧) رقم ٥٧٦٣، ومسلم (٤/ ٢٠١٤) رقم ٢٦٠٩.

(٣) لسان العرب (٧/ ٢٣١).

اعتدلت قوة الشَّهوة ونتج عن اعتدالها العفَّة .

وأَمَّا إنْ كان المؤثِّرُ على قوة الشَّهوة هو ما يُمليه إبليس والهوى والنَّفس الأمارة بالسُّوء فإنَّها تنحرف عن حدٍّ الاعتدال ، فيتَوَلَّدُ عن ذلك الكثير من الخصال المذمومة النَّاتجة عن تلبية نداءات شهوات النَّفس .

مصادر الخلق

أولاً: الوراثة:

إنَّ للوراثة دوراً هاماً في انتقال بعض الأخلاق من الآباء للأبناء، فالخُلُق الموروث هو الخُلُق الجبلي الذي يرثه الأبناء عن آبائهم، ويُسَمَّى بالطَّبع.

« فالطَّبع والطَّبيعة: الخَليقةُ والسَّجيَّةُ التي جُبِلَ عليها الإنسان.

وطَبَعَهُ اللهُ على الأمر يَطْبَعُهُ طَبْعاً: فَطَرَه»[١].

فالطَّبعُ إذاً هو السَّجية التي فطر الله العبدَ عليها، وأوجدها معهُ منذ ولادته، وأورثه إيَّاها عن آبائه.

ومن مبادئ الخُلُق التي يمكن أنْ يؤثِّر فيها الخُلُق الموروث أو الطَّبع قوَّةَ الغضب، فهذه القوة يمكن أن تتأثَّر إيجاباً أو سلباً بطبع العبد الذي فطره الله عليه، فمن النَّاس مَنْ يَرِثُ خصالاً حسنةً منذ ولادته من غير تعلُّمٍ أو تَعَوُّدٍ، وتكون هي طبعه الذي ينشأ عليه مثل: الحلم والأناة والشَّجاعة والتَّواضع، «فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أشج عبد القيس: قال: قال لي النبيِّ ﷺ: **«إنَّ فيك لَخُلُقَيْنِ يحبُّهما الله»**، قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: **«الحلم والحياء»**، قلت: قديماً كان أو حديثاً، قال: **«قديماً»**، قلت: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقَيْنِ أحبَّهما الله»[٢]، «فدلَّ على أنَّ من الخُلُقِ: ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب»[٣].

ومنهم من يَرِثُ خصالاً سَيِّئةً منذ ولادته أيضاً، ومن غير أن يكتسبها تَعَلُّماً أو عادةً مثل: سرعة الغضب والجُبن والكِبْر.

---

(١) لسان العرب (٨/ ١١٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ص-٢٠٥-، رقم ٥٨٤، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٤٥٤.

(٣) مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين. (٢/ ٣١٥).

ثانياً: البيئة:

إنَّ البيئة ومكوناتها الطَّبيعية كالتَّضاريس والمناخ، والحيويَّة كالحيوانات والنَّاس لها دورٌ هامٌ وبارزٌ في اكتساب الإنسان للأخلاق، فالإنسان يتأثَّر بكلٍّ ما حوله سواء كان حيًّا أو غير حيٍّ، وذلك التَّأثُّر يكون في صورة أخلاقٍ مكتسبةٍ، فقد يكتسب الإنسان بعض الأخلاق من طبيعة بيئته، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بدا جفا، ومن اتبع الصيَّد غفل**»(١)، فأهل البادية فيهم خُلُق الجفاء والغلظة والقسوة، وعلى العكس منهم أهل المدن ففيهم خُلُق اللِّين والعاطفة، وأهل الجبال صدورهم ضيقةٌ بحسب ضيق مكانهم، وعلى العكس منهم أهل المناطق المكشوفة فصدورهم واسعةٌ، وأهل المناطق الحارة فذوي أمزجةٍ حارةٍ، وعلى العكس منهم أهل المناطق الباردة.

وقد يكتسب الإنسان بعض الأخلاق من خلال احتكاكه بالحيوان مثلاً، فنجد أنَّ أهل الإبل والخيل مثلاً فيهم شيءٌ من خُلُق الفخر والخيلاء، وأهل الغنم نجد أن فيهم خُلُق السَّكينة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدَّادين أهل الوبر، والسَّكينة في أهل الغنم**»(٢).

بل إن لحوم الحيوان لها تأثيرٌ على خُلُقِ ابن آدم إذا أكلها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «حُرِّمَ كلُّ ذي نابٍ من السِّباع وكلُّ ذي مخلبٍ من الطَّير؛ لأنَّها دوابٌّ عَادِيَةٌ، وأكل لحومها يجعل في خُلُق الإنسان من العدوان ما يضرُّه في دينه، فنهى الله عن ذلك؛ لأنَّ المقصود أنْ يقوم النَّاس بالقسط، والإبل فيها قوةٌ شيطانيةٌ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧١، ٤٤٠) رقم ٨٨٢٣، ٩٦٨١، (٤/ ٢٩٢) رقم ١٨٦٤٢.
والحديث صحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ١٢٧٢، وفي صحيح الجامع برقم ٦١٢٤.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣/ ١٢٠٢) رقم ٣١٢٥، ومسلم (١/ ٧٢) رقم ٥٢.

فإذا أكل العبد من لحمها تبقى فيه هذه القوة ، وإذا توضأ من لحومها كان في ذلك من إطفاء القوة الشَّيطانية ما يزيل المفسدة ، بخلاف من لم يتوضأ منها ، فإنَّ الفساد حاصلٌ معه ، ففي الحديث أنَّ النَّبي ﷺ قال : **«الغضب من الشَّيطان والشَّيطان من النَّار ، وإنَّما تطفأ النَّار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضَّأ»**[1] ؛ ولهذا يقال إنَّ الأعراب بأكلهم لحوم الإبل مع عدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ما صار»[2] .

هذا في حال تأثر الإنسان بالبيئة والحيوان ، أمَّا الإنسان مع أخيه الإنسان فإنَّ احتكاكه به سوف يكسبه ولاشكَّ الكثير من الأخلاق .

وسائل اكتساب الخُلق من إنسانٍ لآخر:

١ـ الاعتياد :

وهي العادة التي تَرَبَّى عليها العبد في بيئته التي نشأ بها .

عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال النَّبي ﷺ : **«كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة ، فأبواهُ يُهوِّدانِهِ ، أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء؟»**[3] .

فالتنشئة والتربية والتَّعوُّد على الشيء لاشكَّ أن لها دوراً كبيراً في توجيه خُلُقِ العبد إمَّا إيجاباً أو سلباً .

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ فينا … على ما كانَ عوَّدَهُ أبوهُ

ومن ذلك يتبيَّن أنَّ الخُلُقَ يمكن أن يُكتسب بالتَّعوُّد ، ومن مبادئ الخُلُق التي يمكن أن تُكتَسب بالعادة قُوَّتا الغضب والشَّهوة ، فهاتان القوتان يمكن أن تتأثَّرا إيجاباً أو سلباً حسب المحيط الذي نشأ وتَرَبَّى فيه العبد ، واكتسب من خلاله بعض العادات ممَّن يُعايشهم ويُخالطهم ، ومن الأمثلة على ذلك : الكرم والجود

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٦)، رقم ١٨٠١٤ ، وأبو داود رقم ٤٧٨٤ .
وقال مخرج جامع الأصول حسن (٨/ ٤٣٩) .

(٢) بتصرف من : فتاوى ابن تيمية (٢٠/ ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٣) متفق عليه : البخاري (١/ ٤٦٥) رقم ١٣١٩ ، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) رقم ٢٦٥٨ .

والحياء إذا تربّىٰ العبد عليها اكتسبها، وعكسها البخل والإمساك والوقاحة، رُبَّمَا يكتسبها العبد إذا كانت تربيته ونشأته عليها.

وصايا تُكسِبُ العبد السَّمتَ والخُلُقَ الحَسَن إذا تعوَّد عليها في تعامله مع النَّاس:

١ ـ مقابلة النَّاس بوجهِ الرِّضا، من غير ذِلَّةٍ لهم ولا هَيْبَةٍ منهم.

٢ ـ توقيرهم من غير كبرٍ.

٣ ـ التَّواضع لهم من غير مَذَلَّةٍ.

٤ ـ مقابلتهم بوجهٍ باشٍ وثغرٍ باسمٍ.

٥ ـ الرفق بهم.

٦ ـ الوسطية في جميع الأمور، فكلا طرفي قصد الأمور ذميمٌ.

٧ ـ التَّحَفُّظُ أمام النَّاس مِمَّا يلي:

أ ـ من تشبيك الأصابع.

ب ـ ومن العبث باللِّحية والخاتم.

جـ ـ ومن تخليل الأسنان.

د ـ ومن إدخال الإصبع في الأنف.

هـ ـ ومن كثرة البصاق والتَنَخُّم.

و ـ ومن طرد الذُّباب من الوجه.

ز ـ ومن «الوفز»[1] عند الجلوس.

ح ـ ومن قرض الأظافر والأصابع.

ط ـ ومن كثرة الهرش في الجسم أو الرأس.

ي ـ ومن كثرة التمطِّي والتَّثاؤب في وجوه النَّاس وفي الصَّلاة وغيرهما.

ك ـ ومن كثرة الالتفات.

---

١ ـ الوَفْزُ: عدم الاطمئنان في القُعُود، واستَوفَزَ في قَعْدَتِهِ: إذا قَعَدَ قُعُوداً منتصباً غير مطمئنٍ. انظر في ذلك: لسان العرب (١٥/ ٣٥٥).

٨ـ الإصغاء إلىٰ الكلام الحسن ممَّن يتحدَّث من غير إظهار تعجُّبٍ مُفْرِطٍ، ولا تكرار سؤالٍ.

٩ـ الابتعاد عن القيلَ والقال، وكثرة السُّؤال.

١٠ـ السُكوت عن المضاحك و الحكايات.

١١ـ ترك التَّحَدُّث عمَّا يخصٌ بإعجابٍ مثل التَّحدث عن الولد أو الشِّعْر أو التَّصنيف أو ما شابه ذلك من الأمور الخاصّة.

١٢ـ ترك التَّصَنُّع في الزِّينة، والتَّبَذُّل في الملبس.

١٣ـ تَوَقِّي كثرة الكحل والإسراف في الدِّهن.

١٤ـ عدم الإلحاح في الحاجات.

١٥ـ عدم التَّشْجيع علىٰ الظُّلم.

١٦ـ تخويف الأهل والولد من غير عنفٍ، واللِّينِ لهم من غير ضعفٍ.

١٧ـ ترك الهزل والتزام الجِدِّية في جميع الأمور، ومع كل النَّاس.

١٨ـ الابتعاد عن الخصام، وإذا حدث ذلك فلابد من الالتزام بما يلي:

أـ التَّوقِّي والتَّحَفُّظْ من الجهل.

ب ـ وتَجَنُّبْ العجلة.

ج ـ والتَّفَكُّر في الحُجَّة.

د ـ وعدم الإكثار من الإشارة باليد.

هـ ـ وعدم الالتفات يمنةً ويسرةً.

و ـ ترك التَّكلم إلاَّ إذا هدأ الغيظ.

١٩ـ عدم حضور الولائم إلاَّ بدعوةٍ.

٢٠ـ عند الدُّخول علىٰ قومٍ في مجلسٍ، فللمجلس آدابٌ منها:

أـ بدء من في المجلس بالسَّلام.

ب ـ والجلوس حيث يتَّسع المكان أو ينتهي المجلس، وحيث يكون أقرب إلىٰ

التَّواضع، وحيث يأمر صاحب المجلس، وحيث لا تظهر عورةٌ في المجلس.

ج ـ عدم النَّظر إلىٰ عورات المجلس كالأبواب، والنوافذ، وعدم الإكثار من النَّظر والسُّؤال فيما لا يخصُّ السَّائل.

د ـ الالتزام بالهدوء والسَّكينة، والتَّحدث بحديثٍ منظومٍ مرتبٍ صادقٍ، وإلاَّ فالصَّمتُ أولىٰ.

هـ ـ عند رؤية أو سماع ما يُعجب فلابد من قول ما شاء الله تبارك الله لصاحب الشَّأن.

و ـ عدم الاستعجال في القيام إلىٰ الطَّعام.

ز ـ الأكل ممَّا يلي.

٢١ ـ ترك الجلوس علىٰ الطَّريق، وإذا حدث ذلك فللطريق حقوقٌ:

أ ـ غَضُّ البصر.

ب ـ وكفُّ الأذىٰ.

ج ـ ونصرةُ المظلوم.

د ـ وإغاثةُ الملهوف.

هـ ـ وعون الضَّعيف.

و ـ وإرشاد الضَّال.

ز ـ وردُّ السَّلام.

ح ـ وإعطاء السائل.

ط ـ والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

٢٢ ـ ترك مجالسة العامة، فإن حدث ذلك فبشروط:

أ ـ ترك الخوض في حديثهم.

ب ـ وقلَّة الإصغاء إلىٰ أراجيفهم.

ج ـ والتَّغافل عمَّا يجري من سوء ألفاظهم.

د- وترك مُمَارَاتِهِم ولو كان الحقُّ جليّاً.

هـ- أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢٣- ترك المزاح، وإذا حدث فيُعْطي كلَّ ذي قَدْرٍ قَدْرَهُ في ذلك، مع ترك الإفراط والكذب في المزاح.

٢- التَّعَلُّم:

وهو وسيلةٌ يمكن أنْ يكتسب من خلالها العبد الخُلُق، فَمَنْ تعلَّمَ السِّيرة الصَّحيحة للرسول ﷺ وصحابته- رضوان الله عليهم- وسلف هذه الأمة وعلمائها- رحمهم الله-، وتتلمذ على يد علماء معلمين أتقياء صالحين وأخيار وفضلاء كان مُتَيَسَّراً له أن يَتَطَبَّعَ بطبع من تعلَّمَ سيرتهم، وبطبع من ثنى ركبتيه عندهم للتعلُّمِ منهم، ويَتَخَلَّقَ بأخلاقهم الحسنة.

أمَّا من تَعَلَّمَ سيرةَ المُنحطِّينَ من المتقدِّمينَ أو المتأخرين، وتتلمذ على يد معلمين سفهاء ضُلاَّل سَيِّئي الأخلاق، وجَعَلَ سِيَرَ أولئك وشَخْصِيَّات هؤلاء قُدوةً له، تيسَّرَ له بالتَّالي أن يتطبَّعَ بطبعهم، ويتخلَّقَ بأخلاقهم السَّيِّئة.

وجميع مبادئ الخُلُق يمكن أنْ تتأثَّر بالتَّعَلُّمِ، فقوى العلم والعدل والغضب والشَّهوة، جميعها يؤثِّر فيها التَّعَلُّمُ تأثيراً واضحاً إمَّا إيجاباً أو سلباً.

«فالأخلاق الحسنة تارةً تكون بالطَّبع، وتارةً تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارةً بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قُرَناء الخير وإخوان الصَّلاح فمن تظاهرت في حقِّه الجهات الثَّلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلُّماً فهو في غاية الفضيلة، ومن كان رَذْلاً بالطَّبعِ واتَّفَقَ له قُرَناءُ السُّوء فَتَعَلَّمَ منهم، وتَيَسَّرَتْ له أسباب الشَّرِّ حتى اعتادها، فهو في غاية البعد عن الله- عزَّ وجلَّ-، وبين الرُّتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات، ولكلٍّ درجةٌ في القربِ والبعدِ بحسبِ ما تقتضيه صورتهُ وحاله»[1].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٨).

أنواع الخلق

مِمَّا سَبَقَ تَبَيَّنَ أنَّ الخُلُقَ هو: هيئةٌ للنَّفس باطنةٌ تظهر على سلوك الإنسان في صورة ميلٍ من الميول إمَّا محمودٍ أو مذموم، فإن كان الميل محموداً، سُمِّيَ ذلك الخُلُق خُلُقاً حَسَناً، وإنْ كان مذموماً، سُمِّيَ الخُلُق خُلُقاً سيِّئاً.

ولذلك فإنَّ الخُلُق ينقسم إلى نوعين: حَسَنٍ، وسيِّئٍ.

فإنْ كان الخُلُق حَسَناً كان صاحبه ممدوحاً مثاباً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وإنْ كان سيِّئاً كان صاحبه مذموماً مُعاقباً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

حسن الخلق

« قال الإمام أحمد: معنى حُسْنِ الخُلُقِ سلامة النَّفس نحو الأرفقِ الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله ـ تعالى ـ، وقد يكون فيما بين النَّاس.

وهو في ذات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: أن يكون العبد منشرح الصَّدر بأوامر الله ونواهيه، يفعل ما فُرِضَ عليه، طيب النَّفس به سلساً نحوه، وينتهي عمَّا حُرِّمَ عليه واسعاً به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجه الله ـ تعالى ـ إذا رأى أنَّ تركه أقرب إلى العبودية من فعله، مستبشراً لذلك، غير ضجرٍ منه ولا متعسر به.

وهو في المعاملات بين النَّاس: أنْ يكون سمحاً بحقوقه، لا يُطالبُ غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإنْ مَرِضَ فلم يُعَدْ، أو قَدِمَ من سفرٍ فلم يُزَرْ، أو سَلَّمَ فلمْ يُرَدَّ عليه، أو ضافَ فلمْ يُكْرَم، أو شفعَ فلمْ يُجَب، أو أحسنَ فلمْ يُشْكَر، أو دَخلَ على قومٍ فلم يُمكَّن، أو تكلَّم فلم يُنصَت له، أو استأذن على

صديقٍ فلم يأذن له، أو خَطَبَ فلم يُزَوَّج، أو استَمْهَلَ الدَّينَ فلم يُمْهَل، أو اسْتَنْقَصَ فلم يُنْقَص، وما أشبه ذلك، لم يَغْضَب، ولم يُعَاقِب، ولم يَتَنَكَّر من حاله حال، ولم يستشعر في نفسه أنَّه قد جُفِيَ وأُوحِشَ، وأنَّه يُقابِلُ كلَّ ذلك إذا وجد السَّبيل إليه بمثله، بل يضمُّ أنَّه لا يعتد بشيءٍ من ذلك، ويقابل كُلاًّ منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، وأشبه بما يحمد ويرضىٰ، ثمَّ يكون في اتقاء ما يكون عليه بِمَا يُحِبُّ أن يكون له، فإذا مَرِضَ أخوه المسلم عاده، وإنْ جاءه في شفاعةٍ استشفع له، وإن استمهله في قضاء دينٍ أمهله، وإنْ احتاج منه إلىٰ معونةٍ أعانه، وإن استسمحه في بيعٍ سَمَحَ له، ولا ينظر إلىٰ الذي عامله كيف كانت معاملته إيَّاه فيما خلا، أو كيف يعامل النَّاس، إنَّما يَتَّخذ الأحسن إماماً لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه»[1].

«وقد قيل: إنَّ حُسْنَ الخُلُقِ بذل النَّدىٰ وكفُّ الأذىٰ واحتمال الأذىٰ، وقيل: حسن الخلق: بذل الجميل وكفُّ القبيح، وقيل: التَّخلِّي عن الرَّذائل والتَّحلِّي بالفضائل»[2].

وممَّا سَبَقَ توضيحه في مبادئ الخُلُق يَتَّضِحُ أنَّ الاعتدال في قوَّة العلم يتمثَّل في اتباع الكتاب والسُّنَّة، والاعتدال في قوة الغضب يتمثَّل في الشَّجاعة، والاعتدال في قوَّة الشَّهوة يتمثل في العفَّة، واتباع الكتاب والسُّنَّة اعتدالٌ يحتاج إلىٰ صبر، والشَّجاعة أيضاً اعتدالٌ يحتاج إلىٰ صبرٍ، وكذلك العفَّة اعتدالٌ يحتاج إلىٰ صبرٍ.

أركان حُسْنِ الخُلُق:

١ ـ العلم الموافق للكتاب والسُّنَّة. ٢ ـ الشَّجاعة.
٣ ـ العفَّة. ٤ ـ الصَّبر.

فإذا استوت هذه الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حُسْنُ الخُلُق.

(١) شعب الإيمان (٦/ ٢٣٠).
(٢) مدارج السَّالكين (٢/ ٣٠٦).

أولاً: موافقةُ العلم للكتاب والسُّنَّة:

لكي ما يعتدل العلم فلا بدَّ من أن يكون موافقاً ومُتابعاً لما جاء في كتابِ اللهِ تعالى وسنَّةِ رسوله ﷺ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنْهُ فانتهُوا واتَّقُوا اللَّه إنَّ اللَّه شَدِيدُ العقاب** ﴾ [الحشر: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ واللَّهُ غفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ـ عزَّ من قائلٍ ـ: ﴿ **لقدْ كان لكُمْ في رسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حسنةٌ لِّمن كان يرْجُو اللَّه والْيوْم الآخِر وذكر اللَّه كثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ **لا تجْعلُوا دُعاء الرَّسُولِ بيْنكُمْ كدُعاءِ بعْضِكُم بعْضًا قدْ يعْلمُ اللَّهُ الَّذِين يتسلَّلُون مِنكُمْ لِواذًا فلْيحْذرِ الَّذِين يُخالِفُون عنْ أمْرِهِ أن تُصِيبهُمْ فِتْنةٌ أوْ يُصِيبهُمْ عذابٌ ألِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **يا أيُّها الَّذِين آمنُوا أطِيعُوا اللَّه وأطِيعُوا الرَّسُول وأُوْلِي الأمْرِ مِنكُمْ فإن تنازعْتُمْ فِي شيْءٍ فرُدُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُون بِاللَّهِ والْيوْمِ الآخِرِ ذلِك خيْرٌ وأحْسنُ تأْوِيلاً** ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»(١).

ولا يكون العلم علماً صالحاً وحسناً إلاَّ إذا سَهُلَ به إدراك الفرق بين: الحقِّ والباطل في الاعتقاد، والصِّدق والكذب في القول، والجميل والقبيح في الفعل.

ولا يكون ذلك إلاَّ إذا توفَّر في تحصيل ذلك العلم شرطان هما: الإخلاص والاتِّباع، ولا يتأتَّى هذان الشَّرطان للعبد إلاَّ بتقوى الله، فالمؤمن الذي يجعل من

---

(١) متفق عليه: البخاري وفيه ـ ما ليس فيه ـ (٢/ ٩٥٩) رقم ٢٥٥٠، ومسلم واللفظ له (٣/ ١٣٤٣) ١٧١٨.

التَّقوىٰ زاداً له، قد تكفَّل الله بتعليمه وهدايته، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

«فإنَّ كلَّ صفةٍ مَدَحَ الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكلُّ ذمٍّ ذمَّه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، فمدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبُّه، ومدحه بالعمل الصَّالح الذي هو ثمرة العلم النَّافع، ومدحه بالشُّكر، والصَّبر، والمسارعة في الخيرات، والحبِّ له، والخوف منه، والرَّجاء، والإنابة، والحلم، والوقار، واللُّب، والعقل، والعفَّة، والكرم، والإيثار على النَّفس، والنَّصيحة لعباده، والرَّحمة بهم، والرَّأفة، وخفض الجناح، والعفو عن مسيئهم، والصَّفح عن جانبهم، وبذل الإحسان لكافتهم، ودفع السَّيئة بالحسنة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والصَّبر في مواطن الصَّبر، والرِّضا بالقضاء، واللين للأولياء، والشِّدة على الأعداء، والصِّدق في الوعد، والوفاء بالعهد، والإعراض عن الجاهلين، والقبول من النَّاصحين، واليقين، والتَّوكل، والطمأنينة، والسَّكينة، والتَّواصل، والتَّعاطف، والعدل في الأقوال والأفعال، والأخلاق، والقوة في أمره، والبصيرة في دينه، والقيام بأداء حقِّه واستخراجه من المانعين له، والدَّعوة إليه، وإلىٰ مرضاته، وجنته، والتحذير عن سبل أهل الضَّلال، وتبيين طرق الغي، وحال سالكيها، والتَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبر، والحضِّ على طعام المسكين، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وبذل السَّلام لكافة المؤمنين، إلىٰ سائر الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية التي أقسم الله ـ سبحانه ـ علىٰ عظمها فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١ ـ ٤]، «قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عندما سُئِلَت عن خُلُقِ رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن»[(١)]، فهذه الأخلاق

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٦٣) رقم ٢٥٣٤١، (٦/ ٢١٦) رقم ٢٥٨٥٥، والحديث في صحيح الجامع برقم ٤٨١١.

ونحوها هي ثمرة شجرة العلم»[1].

فإنْ كان العلم الذي حَصَّلَهُ العبد خالصاً لله ـ سبحانه وتعالى ـ، ومُتَّبِعاً فيه الكتاب والسُّنَّة، أصبح ذلك العلم قُوَّةً يسهل بها إدراك الفرق بين: الحقِّ والباطل في الاعتقادات، والصِّدق والكذب في الأقوال، والجميل والقبيح في الأفعال، وهذا ـ والله ـ هو الاعتدال بذاته، وصدقَ الحَقُّ إذْ قال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإن انحرف العلم عن حدود الاعتدال ـ الكتاب والسُّنَّة ـ فإنَّه ينحرفُ إمَّا إلىٰ جهلٍ ناتجٍ عن تفريطٍ في تحصيل العلم، أو إلىٰ ضلالٍ ناتجٍ عن إفراطٍ منحرفٍ في تحصيل العلم، يُخْرِجُهُ عن حدود مصدري التَّشريع الكتاب والسُّنَّة، والاستعاضة عنهما بمصادر أخرىٰ بدعيَّةٍ موافقةٍ للأهواء.

ثانياً: الشَّجاعة:

«الشَّجاعة: شِدَّةُ القلب في البأس»[2]

ونعني بالشَّجاعة كون قوة الغضب منقادةً للشَّرع في إقدامها وإحجامها، فهي تُقدِمُ إنْ انتهكت حرمات الله، وتُحجِمُ إنْ نادىٰ داعي الهوىٰ لانتصار النَّفس، فالشُّجاع هو الذي يغضب لله، وفي الله، ومن أجل محارم الله لا من أجل الانتصار لنفسه.

ولذلك الشُّجاعُ حقيقةً هو من ظهرت عليه علامات الشَّجاعة والتي تتمثَّل في الخصال التَّالية: كظم الغيظ، والعفو، والإحسان، والحُلم، والأناة، والرحمة، والرفق، وسلامة الصَّدر، وحسن الظَّنِّ، والتَّوقير، والوقار، والتَّبسم، وطلاقة الوجه، والتَّواضع، والتَّودُّد، والسَّتر، والتَّسامح، والشَّهامة، والنَّجدة، والغضب في الله.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٧).

(٢) لسان العرب (٧/ ٣٦).

١- كظم الغيظ، والعفو، والإحسان:

قال الله - تعالى -: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

«وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قَطُّ بيده ولا امرأةً ولا خادماً إلاَّ أن يُجاهدَ في سبيلِ الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قَطُّ فينتقمَ من صاحبه إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شيءٌ من مَحَارِمِ الله، فينتقمُ للهِ - عزَّ وجلَّ -» (١).

«قيل لأعرابي: من الأريب العاقل؟ قال: هو الفطن المتغافل أي الذكي المتغافل عن إيذاء الآخرين أو إساءتهم، وهذا هو الحليم واسع الصَّدر، لا عن ضعفٍ وعجزٍ، ولكن عن قدرةٍ وذكاءٍ وفهمٍ» (٢).

فإنَّ من مقدور العبد التَّغاضي عن الهفوات البسيطة من الغير والتي ليس فيها محذورٌ شرعيٌّ، ويتشاغل عنها، ويظهر عدم اهتمامه بها أو عدم رؤيته لما حصل.

وفي هذا يقول الشاعر:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ ... لكنَّ سَيِّدَ قَومِهِ الْمُتَغَابِي

«وقال علي - رضي الله عنه -:

أُغَمِّضُ عَيْنِي في أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وإنِّي على تَرْكِ الْغُمُوضِ قَدِيرُ
ومَا عَنْ عَمًى أُغْضِي ولكِنْ لَرُبَّمَا ... تَعَامَى وأَغْضَى الْمَرْءُ وهْوَ بَصِيرُ
وأَسْكُتُ عَنْ أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُها ... ولَيْسَ عَلَيْنَا في الْمَقَالِ أَمِيرُ
أُصَبِّرُ نَفْسِي بِاجْتِهَادِي وطَاقَتِي ... وإنِّي بِأَخْلاَقِ الجَمِيعِ خَبِيرُ» (٣)

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨١٤) رقم ٢٣٢٨.

(٢) الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع. (١/ ٥٦٠).

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -. ص ٧١.

فينبغي على العبد المؤمن أن يحاول جاهداً أن يكظم غيظه عن هفوات إخوانه البسيطة التي ليس فيها محذورٌ شرعيٌّ، وإن استطاع أنْ يعفو عمَّن أخطأ عليه بعد أن يكظم غيظه عنه فهذا أمرٌ حسنٌ، والأحسنُ من ذلك أنْ يُحسن إليه بعد أنْ يعفو عنه.

فصبر العبد على ما يبديه الغير من جفاء، أو يقترفه من سوء طبعٍ وأخطاء أمرٌ مطلوبٌ.

أما التركيز على الهفوات البسيطة، أو تضخيمها، وتحميل الأمور ما لا ينبغي، هذا بالطَّبع لا يبني أبداً، ولذلك يجب أنْ يكون العبد المؤمن مُتَّزِناً في مواجهة أخطاء الآخرين، وينبغي عليه أنْ يقابل تلك الأخطاء بكظمٍ للغيظ بل بعفوٍ وإحسانٍ.

بل إنَّ العبد بكظم غيظه مع من يسيء معهُ المعاملة وبعفوه عنه وبإحسانه إليه سوف يُكسبُ قلب ذلك المسيء محبَّةً له، ومصداق ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤]، ويكسب من جرَّاء فعله هذا إذا أخلص النِّيَّةَ لله ـ تعالى ـ مغفرةً من الله، والأمرُ لا يحتاجُ إلاَّ إلى ضبطٍ للأعصاب، وتَعَقُّلٍ وحكمةٍ، وقبل ذلك كلِّه إلى إخلاصٍ كما ذُكِرَ آنفاً، قال ـ عَزَّ مِنْ قائل ـ: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢]، فإذا فعل ذلك سوف يجدُ للعفو لَذَّةً لا تعادلها لذة التَّشَفِّي، «فأعظمُ النَّاسِ عفواً من عفا عن قُدرةٍ»[1]، ولذلك قال المنتصر بالله: «لَذَّةُ العفوِ أعذَبُ من لَذَّةِ التَّشَفِّي، وأقبحُ فعال المقتدر الانتقام»[2].

أمَّا إذا كان الخطأ الصَّادر من المسيء في معاملته يترتَّب عليه محذورٌ شرعيٌّ،

---

(١) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (١/٥٠٦).

(٢) المصدر السَّابق. (٢/٨٦٧).

كأن ينْتَهِكُ حقاً من حقوق الله ، فلا شكَّ أنَّ إبداء الغضب هنا أَمْرٌ محمودٌ ، بل واجبٌ ومطلوبٌ .

٢ . الحلم والأناة:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبدالقيس : **«إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله : الحِلْمُ والأناة»**(١) .

« وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظُ الحاشية ، فأدركهُ أعرابيٌّ ، فجبذهُ بردائه جبذةً شديدةً ، فنظرتُ إلى صفحةِ عاتقِ النَّبيِّ ﷺ وقد أثَّرتْ بها حاشيةُ البُرْدِ من شدَّةِ جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مالِ الله الذي عندك ، فالتفتَ إليه فضحكَ ، ثم أمرَ لهُ بعطاءٍ »(٢) .

« يحكى أنَّ إبراهيم بن أدهم خرج يوماً إلى بعض البراري ، فاستقبله رجلٌ جنديٌّ فقال : أنت عبد؟ ، قال : نعم ، فقال له : أين العمران؟ ، فأشار إلى المقبرة ، فقال الجندي : إنَّما أردت العمران ، فقال : هو المقبرة ، فغاظه ذلك ، فضرب رأسه بالسَّوط ، فَشَجَّهُ ، وردَّهُ إلى البلد ، فاستقبله أصحابه فقالوا : ما الخبر؟ ، فأخبرهم الجندي ما قال له ، فقالوا : هذا إبراهيم بن أدهم ، فنزل الجندي عن فرسه ، وقَبَّلَ يديه ورجليه ، وجعل يعتذر إليه ، فقيل بعد ذلك له : لِمَ قُلْتَ له أنا عبد؟ ! ، فقال : إنَّه لم يسألني عَبْدُ مَنْ أنت ، بل قال أنت عبْد ، فقلت نعم ؛ لأنِّي عبد الله ، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنَّة ، قيل : كيف وقد ظلمك؟! ، فقال : علمتُ أنَّني أؤجر على ما نالني منه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه منِّي الشَّرُّ .

(١) رواه مسلم (١/ ٤٨) رقم ٢٥ ، والتِّرمذي (٤/ ٣٦٦) رقم ٢٠١١ ، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٨١) رقم ٧٢٠٤ .

(٢) متفق عليه : البخاري (٥/ ٢٢٦٠) رقم ٥٧٣٨ ، ومسلم (٢/ ٧٣٠) رقم ١٠٥٧ .

ورُوِيَ أنَّ أبا عبد الله الخيَّاط كان يجلس على دكانه ، وكان له حريفٌ مجوسيٌّ يستعمله في الخياطة، فكان إذا خاط له شيئًا حمل إليه دراهم زائفة، فكان أبو عبد الله يأخذ منه ولا يخبره بذلك، ولا يَرُدُّهَا عليه، فاتَّفَقَ يوماً أنَّ أبا عبد الله قام لبعض حاجته، فأتى المجوسي فلم يجده، فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه، فكان درهماً زائفاً، فلمَّا نظر إليه التِّلميذ عرف أنَّه زائفٌ، فردَّه عليه ، فلمَّا عاد أبو عبد الله أخبره بذلك، فقال: بئس ما عَمِلْتَ، هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنَةٍ وأنا أصبر عليه، وآخذ الدَّراهم منه، وألقيها في البئر؛ لئلا يَغُرَّ بها مسلماً.

وقيل للأحنف بن قيس: مِمَّنْ تعلَّمتَ الحلم؟ ، فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ من حلمه؟ ، قال: بينما هو جالسٌ في داره إذ أتته جاريةٌ له بسفودٍ عليه شواءٌ فسقط من يدها، فوقع على ابنٍ له صغيرٍ فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا رَوعَ عليك، أنت حرَّةٌ لوجه الله ـ تعالى ـ.

وشتم رجلٌ الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه، وكان يَتْبَعُهُ، فلمَّا قرب من الحيِّ وقف وقال: إن كان قد بَقِيَ في نفسك شيء فقله؛ كي لا يسمعك بعض سفهاء الحيِّ فيؤذوك.

وروي أنَّ عَلِيّاً ـ رضي الله عنه ـ دعَا غلاماً فلم يجبه ، فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعاً ، فقال : أما تسمع يا غلام؟! ، قال: بلى، قال: فما حَمَلَكَ على ترك إجابتي؟! ، قال أَمِنْتُ عقوبتك فَتَكَاسَلْتُ، فقال: امضِ فأنت حُرٌّ لوجه الله ـ تعالى ـ»[1].

«وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سُدْتَ قومك يا عرابة؟ ، قال يا أمير المؤمنين كنت أَحْلُمُ عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل منِّي، ومن قصر عني فأنا خيرٌ منه».

(١) بتصرف من : إحياء علوم الدين . (٣/ ٧٠ ، ٧١).

وسَبَّ رجلٌ ابن عباس - رضي الله عنهما -، فلمَّا فرغ قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها، فنكس الرجل رأسه واستحيٰ.

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنَّك من الفاسقين، فقال: ليس تقبل شهادتك.

وعن علي بن الحسين بن علي - رضي الله عنهم - أنَّه سَبَّهُ رجلٌ، فرمىٰ إليه بخميصةٍ كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذىٰ، وتخليص الرَّجل ممَّا يبعد من الله - عزَّ وجلَّ -، وحمله علىٰ النَّدم والتوبة، ورجوعه إلىٰ مدح بعد الذَّمِّ، اشترىٰ جميع ذلك بشيءٍ من الدُّنيا يسير»[1].

٣ - الرفق:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه»**[2].

وعن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول **«من يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير كلَّه»**[3].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابيٌّ فبَالَ في المسجد، فتناوله النَّاس، فقال لهم النبَّي ﷺ: **«دَعُوهُ، وأهريقوا علىٰ بوله سَجْلاً من ماءٍ أو ذنوبًا من ماء، فإنَّما بُعثتُمْ مُيَسِّرينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين»**[4].

فحَرِيٌّ بالمؤمن أنْ يكون مُلتزماً بالرِّفْقِ في القول والعمل مع النَّاس، مجتنباً الكلمة الجافية والمعاملة الجافة؛ فإن الرفق يؤلِّف القلوب بل ويُصلحُها.

---

(١) المصدر السَّابق. (٣/ ١٧٨).

(٢) رواه مسلمْ (٤/ ٢٠٠٤) رقم ٢٥٩٤.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٣) ٢٥٩٢.

(٤) رواه البخاري (١/ ٨٩) ٢١٧.

٤- الرحمة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه - رضي الله عنهم - قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»** (١).

ولذلك يجب على العبد أن يكون رحيماً مع من هو أصغر منه كرحمته بأبنائه، ومُحترماً لمن هو أكبر منه كاحترامه لوالديه.

٥- حسن الظَّنِّ وسلامة الصَّدر:

قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إيَّاكم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذب الحديث»** (٢).

« يُروى أنَّ أبا إسحاق الشيرازي نزع عمامته - وكانت بعشرين ديناراً - وتوضَّأ في دجلة، فجاء لصٌّ فأخذها، وترك عمامةً رديئةً بدلها، فطلع الشَّيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس، فقال: لعلَّ الذي أخذها محتاجٌ» (٣).

« وقال زيد بن أسلم: دُخِلَ على أبي دجانة وهو مريضٌ، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: ما لوجهك يتهلَّل؟، فقال: مَا مِنْ عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً» (٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٥) رقم ٦٧٣٣.

وأبو داود (٤/ ٢٨٦). رقم ٤٩٤٣.

«الحديث عند أحمد وأبي داود فيه: «ويعرف حق كبيرنا فليس منَّا».

وأخرجه التِّرمذي، واللفظ له (٤/ ٣٢٢). رقم ١٩٢٠.

والحديث في صحيح الجامع برقم ٥٤٤٤.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٢٥٣) رقم ٥٧١٧، ومسلم (٤/ ١٩٨٥) رقم ٢٥٦٣.

(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (٣/ ١٣٠٧).

(٤) المصدر السَّابق. (١/ ٤٢).

٦ - التبسّم وطلاقة الوجه:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال لي النَّبيُّ ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ»[(١)].

ينبغي للمؤمن أن يُقابِلَ النَّاس بوجهٍ طَلْقٍ بشوشٍ، وثغرٍ باسمٍ، وليتذكَّر أنَّ تبسُّمَه في وجوههم صدقةٌ.

ليس ذلك فحسب بل إنَّ بشاشة وطلاقة وجه العبد للآخرين وابتسامة ثغره لهم مفتاحٌ لقلوبهم، فتجد أنَّ النَّاس يتقبَّلون من الإنسان الباش المتهلِّل الوجه، ولا يتقبَّلون من العبوس المكفهر الوجه.

٧ - التواضع والبعد عن الكبرياء والتّعالي:

قال الله - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿واخْفضْ جناحَكَ لمَنِ اتَّبعكَ منَ المُؤمنينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

التَّواضع صفةٌ محمودةٌ بين صفتين مذمومتين هما الكِبْرُ والذُّل، ولذلك فالتَّواضع سمةٌ من سمات المسلم حثَّ عليه الرَّسول ﷺ.

فعن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد»[(٢)].

فالتَّواضع يورث المحبَّة وهو من أخلاق الكرام، والتَّكبُّر يورث البغض، وهو من شيم اللئام.

قال بعضهم:

ولا تَمشِ فَوقَ الأرضِ إلاَّ تَواضُعاً فَكَمْ تَحتَها قَومٌ هُمُ مِنكَ أَرفَعُ
وإنْ كُنتَ في عِزٍّ وجاهٍ ومَنعَةٍ فَكَمْ مَاتَ من قَومٍ هُمُ مِنكَ أنفَعُ

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٢٦) رقم ٢٦٢٦.
(٢) رواه مسلم (٤/٢١٩٨) رقم ٢٨٦٥.

وقال آخر :

تَواضَع تكن كالنَّجم لاحَ لناظرٍ ... على صَفحاتِ الماءِ وهُوَ رَفيعُ
ولاَ تَكُ كالدُّخانِ يَرفَعُ نَفسَهُ ... إلى طَبَقَاتِ الجوِّ وهُوَ وَضِيعُ
فَأَخَسُّ ما في المرءِ يرفع نفسهُ ... رفيعٌ وبين العالمينَ وَضِيعُ
وأَحسنُ ما في المرءِ يكْسِرُ نفسه ... وَضِيعٌ وبين العالمينَ رفيعُ(١)

٨ـ السَّتْرُ :

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا تجسَّسُوا﴾ [الحجرات : ١٢] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبي ﷺ قال : **«لا يستر عبدٌ عبداً في الدُّنيا إلا ستره الله يوم القيامة»**(٢) .

وعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول ﷺ يقول : **«إنَّك إنْ اتَّبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم»**(٣) .

يجب على المؤمن أنْ يستر عورة أخيه المؤمن ، وأنْ لا يتجسس عليه بتتبع عوراته ، فإنه إن تتبع عورته أفسده أو كاد أن يُفسده .

فإن سمع المسلم عن أخيه أو رأى منه أيَّ أمرٍ قبيحٍ قد ستره الله عليه ، فَلْيَسْتُرْ عليه هذه العورة ، ولا يكشفها عنه ، ولا يتتبَّعه فيها ولا في غيرها بالتَّجسس عليه .

«والسَّتر نوعان : **النَّوع الأول :** سترٌ محمودٌ ، ويكون في حقِّ الإنسان المستقيم الذي لم يُعْهد منه فاحشةٌ ، ولم يحدث منه عدوانٌ إلا نادراً ، فهذا ينبغي أنْ يستر

---

(١) تذكرة السَّامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم . ص١٠٦ .

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٢) ٢٥٩٠ .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٢) رقم ٤٨٨٨ .

وابن حبَّان في صحيحه (١٣/ ٧٢) رقم ٥٧٦٠ .

والحديث في صحيح الجامع برقم ٢٢٩٥ .

وينصح ، ويبيِّن له أنَّه على خطأ .

والنَّوع الثَّاني: سترُ شخص مستهترٍ متهاونٍ في الأمور معتدٍ على عباد الله شرير ، فهذا لا يُسْتَر ، بل المشروع أن يُبَيَنَ أمرهُ لولاةِ الأمرِ حتى يردعوهُ عمَّا هو عليه ، وحتى يكون نكالاً لغيره .

فالسِّتر يتبع المصالح ، فإذا كانت المصلحة في السِّتر فهو أولى ، وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى ، وإنْ تردَّد الإنسان بين هذا وهذا فالسِّتر أولى»[١] .

ثالثاً: العفَّة:

«العفَّةُ : الكَفُّ عَمَّا لا يَحِلُّ ويجْمُلُ»[٢] .

«ونعني بالعفَّةِ : تأدُّب قوة الشَهوة بتأديب العقل والشَّرع»[٣] .

أنواع العفَّة:

أ ـ العفَّة عن شهوة الفرج:

وعلاماتها : الورع ، والحياء ، وغضُّ البصر ، وإمساك اللِّسان عن القول الفاحش ، وعدم سماع مهيجات الغريزة الجنسية كالشِّعر الماجن ، والغناء ، ونحوه .

ب ـ العفَّة عن شهوة اللسان:

وعلاماتها : الورع ، وطِيبُ الكلام ، والصِّدق ، وكتمان السِّرِّ ، وإمساك اللسان عن الغيبة والنَّميمة والهمز واللمز والسُّخرية والاحتقار والكذب والبذاءة والفحش والسَّبِّ واللعن وغير ذلك من آفات اللسان ، وتجنُّب كثرة المزاح والعبث والضَّحك والقهقهة وسخافة القول .

---

(١) شرح رياض الصَّالحين . للشَّيخ العثيمين . (٥/ ١٥) .

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٩٠) .

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٤) .

جـ ـ العفَّة عن شهوة البطن:

وعلاماتها: شرف النَّفس عن التَّطَفُّل وعن حضور الولائم إلاَّ بدعوةٍ، وشرفها عن الشَّره في الأكل والشُّرب، وعن الأكل والشُّرب الزَّائد عن الحاجة، وشرفها عن تناول المحرمات من المأكولات كلحم الخنزير، والميتة، والدَّم، أو المشروبات كالخمر والمسكرات أو تناول المخدرات، أو شرب الدُّخان، أو ما شابه ذلك من مأكلٍ أو مشربٍ مُحَرَّم.

د ـ العفَّة عن شهوة المال:

وعلاماتها: الورع، والقناعة، والزُّهد، والتَّعفف، والغبطة، والكرم، والجود، والسَّخَاء، والبذل، والعطاء، والتَّصدُّق.

هـ ـ العفَّةُ عن الشَّهوة الخفيَّة:

وعلاماتها: الورع، والتَّواضع، ونبذ الحَمِيَّة، وترك التَّعَصُّب.

ومن أهم علامات أنواع العفَّة ما يلي:

١ ـ الورع:

عن النُّعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الحلال بيِّنٌ وإن الحرام بيِّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من النَّاس، فمن اتقى الشُّبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أنْ يرتع فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمى، ألا وإنَّ حمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب»**(١).

وعن النَّواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم، فقال: **«البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أنْ يطَّلع عليه النَّاس»**(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (١/ ٢٨) رقم ٥٢، ومسلم (٣/ ١٢١٩) رقم ١٥٩٩.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٠) رقم ٢٥٥٣.

«قال يونس بن عبيد: الورع: الخروج من كلِّ شبهةٍ ومحاسبة النَّفس في كلِّ طرفة عين».

وقال سفيان الثوري: «ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه»(١).

«الورع المشروع: هو ترك ما قد يضرُّ في الدَّار الآخرة، وهو ترك المحرمات والشُّبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات، فأمَّا ما ينفع في الدَّار الآخرة بنفسه أو على ما ينفع في الدَّار الآخرة فالزُّهد فيه ليس من الدِّين بل صاحبه داخلٌ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، كما أنَّ الاشتغال بفضول المباحات هو ضدُّ الزُّهد المشروع، فإنْ اشتغل بها عن واجبٍ أو بفعلٍ محرَّمٍ كان عاصياً وإلا كان منقوصاً عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين»(٢).

ومن الأمثلة على الورع ما يلي:

أ ـ الورع في النَّظر:

قال ـ عز من قائل ـ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: «**إيَّاكم والجلوس على الطرقات**»، قالوا يا رسول الله: ما لنا من مجالسنا بدٌّ نتحدثُ فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطَّريق حقَّه**» قالوا: وما حقّ الطَّريق يا رسول الله؟ قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلام، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر**»(٣).

« قال وكيع: خرجنا مع سفيان الثَّوري في يوم عيدٍ فقال: إنَّ أوَّل ما نبدأ به في

---

(١) مدارج السَّالكين. (٢/ ٢٢).

(٢) التُّحفة العراقية. ص ٤٤.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٣٠٠) رقم ٥٨٧٥، ومسلم (٣/ ١٦٧٥) رقم ٢١٢١.

يومنا غض أبصارنا»[١].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا مرَّت بك امرأةٌ فغمِّض عينيك حتى تجاوزك»[٢].

ب ـ الورع في السمع:

«عن نافع قال: كنت مع ابن عمر في طريق، فسمع زمارةَ راعٍ، فوضع أصبعيه في أذنيه ثمَّ عدل عن الطَّريق ثمَّ قال: يا نافع، أتسمع؟ قلت: لا، فأخرج أصبعيه من أذنيه، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع»[٣].

جـ ـ الورع في الشم:

«يُروى أنَّ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أتي بغنائم مسكٍ، فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تأخذ بأنفك لهذا! قال: إنَّما ينتفع من هذا بريحه، فأكره أنْ أجد ريحه دون المسلمين.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: «لأنْ يمتلئ منخري من ريح جيفةٍ أحبّ إليَّ من أنْ يمتلئا من ريح امرأةٍ».

ورُوي أنَّ عمر بن الخطاب كان يدفع إلى امرأته طيباً للمسلمين، كانت تبيعه فتزن، فترجح وتنقص، فتكسر بأسنانها، فتقوم لهم الوزن، فعلق بإصبعها منه شيءٌ، فقالت بإصبعها في فيها فمسحت به خمارها، وأنَّ عمر جاء فقال: ما هذه الرِّيح؟، فأخبرته خبرها، فقال: تطيبين بطيب المسلمين، فانتزع خمارها فجعل يقول بخمارها في التُّراب ثمَّ يشمُّه ثمَّ يصبُّ عليه الماء ثمَّ يقول به في التَّراب حتى ظنَّ أن ريحه قد ذهبت، ثم جاءتها العطارة مرةً أخرى، فباعت منها فوزنت لها، فعلق بإصبعها منها شيءٌ فقالت بإصبعها في فيها ثمَّ قالت بإصبعها في التَّراب،

---

(١) الورع لابن أبي الدنيا. ص ٦٣.

(٢) الورع لابن أبي الدنيا. ص ٦٦.

(٣) الورع لابن أبي الدنيا. ص ٦٨.

فقالت العطارة: ما هكذا صنعت أول مرةٍ!، فقالت: أما علمت ما لقيت منه، لقيت منه كذا وكذا»(١).

د ـ الورع في البطن:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بتمرةٍ في الطَّريق قال: **«لولا أنِّي أخاف أن تكون من الصَّدقة لأكلتها»**(٢).

«وعن عائشة ـ رضي الله ـ عنها قالت: كان لأبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ غلام يُخْرِجُ له الخَرَاج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيءٍ، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟، فقال أبو بكر: وما هو؟، قال كنت تكهَّنت لإنسانٍ في الجاهلية، وما أُحْسِن الكهانة إلا أنِّي خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه»(٣).

هـ ـ الورع في الملبس:

«عن قزعة قال: رأيت على عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ثياباً خشنةً، فقلتُ له: إنِّي قد أتيتك بثوبٍ ليِّنٍ مِمَّا صُنِعَ بخراسان، وتقرُّ عينايَ أنْ أراه عليك، قال: أرنيه، فَلَمَسَهُ، وقال: أَحَريرٌ هذا؟، قلت: لا، إنه من قطن، قال: إنِّي أخاف أن ألبسه؛ أخاف أنْ أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ»(٤).

أمَّا اليوم فإنَّا نرى الكثير من النَّاس يلبس الغالي الباهظ الثَّمن من الملابس، وعلامات الكبر والخيلاء ظاهرةٌ عليه ولا يُبالي، ناهيك عمَّن يُسبل إزاره تحت كعبيه رافعاً أنفهُ ومنكبيه، فأين الورع من هؤلاء والترفُّع عَمَّا يورد المهالك؟!!،

---

(١) الورع لابن أبي الدنيا. ص ٧٤.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢/ ٨٥٧) رقم ٢٢٩٩، ومسلم (٢/ ٧٥٢) رقم ١٠٧١.

(٣) رواه البخاري.

(٤) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (١/ ٢٦٠).

وهذا ابن عمر - رضي الله عنهما - تورَّع عن أن يلبس النَّاعم من الثِّياب خوفاً؛ على نفسه من الخيلاء، وهو بعيدٌ كلَّ البعد عن ذلك - رضي الله عنه وأرضاه -.

و - الورع في اللِّسان:

عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ»(١).

ينبغي على المؤمن أن يكون صادقاً مع النَّاس، وليَتَحَرَّ أن يكون كلامه موافقاً لِلْحَقِّ في السِّرِّ والعلانية، وليَتَكَلَّم بالكلام الطيِّب، الذي لا يشينه كذبٌ، ولا غيبةٌ ولا نميمةٌ، ولا استهزاءٌ، ولا لمزٌ، ولا سبٌّ، ولا لعنٌ، ولا بذاءةٌ، ولا فحشٌ.

كما ينبغي عليه أنْ يتجنَّب العبث، والتَّبذُّل في المجالس بالتَّنكيت، والضَّحك، والقهقهة، وسخافة القول.

كما ينبغي عليه إذا لقي أحداً من إخوانه المسلمين أنْ يبدأه بتحية الإسلام، فعن أبي أمامةَ - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ **«إنَّ أولى النَّاس بالله من بدأهم بالسَّلام»**(٢).

ز - الورع في المال:

«دخل أبو إسحاق الشِّيرازي يوماً مسجداً؛ ليتغدىٰ، فنسي ديناراً، ثمَّ ذكر، فرجع فوجده، ففكر وقال: لعله وقع من غيري، فتركه»(٣).

«ويروىٰ أنَّه كان للملك العادل نور الدين زنكي عجائز يَخِطْنَ له الكوافي ويبعنها سرّاً، فَيُفْطِرُ علىٰ ثمنها»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٤٠٠) رقم ٦١٩٥، ومسلم (٢/ ٧٠٤) رقم ١٠١٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٨٠). كتاب الأدب. باب في فضل من بدأ بالسَّلام.

والحديث في صحيح الجامع برقم ٢٠١١.

(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء (٣/ ١٣٠٧).

(٤) بتصرُّف من: المصدر السَّابق (٣/ ١٤٥٤).

«وكان على ابن سيرين دَيْنٌ كثيرٌ من أجل زيتٍ كثيرٍ أراقه؛ لكونه وجدَ في بعض الظُّروف فأرة»(١).

٢ـ القناعة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض(٢)، ولكن الغنى غنى النَّفس»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه»(٤).

«القناعة: الرِّضا بالقسم، يقال: قنع الرجل قناعةً إذا رضي، وقال أبو ذؤيب الهذلي: **والنَّفس راغبةٌ إذا رغَّبتها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع**»(٥).

«وحقيقة القناعة ترك التَّشوُّف إلى المفقود والاستغناء بالموجود»(٦).

«قيل للجنيد: ما القناعة؟، قال: ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك»(٧).

وذو القناعة راضٍ من معيشته وصاحب الحرص إنْ أثرى فغضبان(٨)

«عاتب أعرابيٌّ أخاه على الحرص فقال: يا أخي، أنت طالبٌ ومطلوبٌ يطلبك من لا تفوته، وتطلب أنت ما قد كفيته، وكأنَّ ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنَّك ـ يا أخي ـ لم تر حريصاً محروماً وزاهداً

(١) بتصرُّف من: المصدر السَّابق (١/ ٤٥٧).
(٢) العَرَض: المال.
(٣) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٣٦٨) رقم ٦٠٨١، ومسلم (٢/ ٧٢٦) رقم ١٠٥١.
(٤) رواه مسلم (٢/ ٧٣٠) رقم ١٠٥٤.
(٥) القناعة. (١/ ٤٠).
(٦) حلية الأولياء. (١٠/ ٣٨٦).
(٧) حلية الأولياء. (١٠/ ٢٦٣).
(٨) قصيدة «عنوان الحكم» للبستي.

مرزوقاً، وفي ذلك قيل:

أراك يزيدك الإثراء حرصاً على الدُّنيا كأنَّك لا تموتُ

فهل لك غايةٌ إن صرت يوماً إليها قلت: حسبي قد رضيتُ[(١)]

٣ـ الحياء:

عن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[(٢)].

«الحياء صفةٌ في النَّفس، تحمل الإنسان على فعل ما يُجمل ويُزين، وترك ما يُدنس ويُشين، فتجده إذا فعل شيئاً يُخالف المروءة استحيا من النَّاس، وإذا فعل شيئاً مُحَرَّماً استحيا من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وإذا ترك واجباً استحيا من الله، وإذا ترك ما يَنبغي فعله استحيا من النَّاس»[(٣)].

ولذلك عَرَّفَ العلماء الحياء بأنَّه «خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التَّقصير في حقِّ ذي الحقِّ»[(٤)].

فحياء المسلم مع إخوانه يمنعه من أنْ يتطاول عليهم بالكلام البذيء أو الفاحش، ويمنعه من التَّكبُّر عليهم، ويمنعه كذلك من خذلانهم إذا احتاجوا إليه، كما يمنعه من أنْ يقترف منكراً أمامهم.

أقسام الحياء:

«قُسِّمَ الحياء على عشرة أوجهٍ: حياءُ جنايةٍ، وحياءُ تقصيرٍ، وحياءُ إجلالٍ، وحياءُ كرمٍ، وحياءُ حشمةٍ، وحياءُ استصغارٍ للنَّفس واحتقارٍ لها، وحياءُ محبَّةٍ، وحياءُ عبوديَّةٍ، وحياءُ شرفٍ وعزَّةٍ، وحياءُ المستحيي من نفسه.

---

(١) إحياء علوم الدين. (٣/ ٢٤٠).

(٢) متفق عليه: (البخاري ٥/ ٢٢٦٧) رقم ٥٧٦٦، ومسلم (١/ ٦٤) رقم ٣٧.

(٣) شرح رياض الصَّالحين من كلام سيد المرسلين. (٧/ ٢٦).

(٤) رياض الصَّالحين، ص٢٨٠.

فَأَمَّا حياء الجناية: فمنه حياء آدم ـ عليه السلام ـ لما فَرَّ هارباً في الجنَّة.

وحياء التَّقصير: كحياء الملائكة الذين يُسَبِّحُونَ الليل والنَّهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

وحياء الإجلال: هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربِّه يكون حياؤه منه.

وحياء الكرم: كحيائه ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وأطالوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أنْ يقول لهم: انصرفوا.

وحياء الحشمة: كحياء علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه.

وحياء احتقارِ واستصغار النَّفس: كحياء العبد من ربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ حين يسأله حوائجه احتقاراً لشأن نفسه واستصغاراً لها، وفي أثر إسرائيليٍّ أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ قال: يا ربّ، إنَّه لتعرض لي الحاجة من الدُّنيا فأستحيي أن أسألك هي يا ربِّ، فقال الله ـ تعالى ـ: سلني حتى ملح عجينتك وعلف شاتك.

وقد يكون لهذا النَّوع سببان أحدهما: استحقار السَّائل نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه، والثَّاني: استعظام مسئوله.

وأما حياء المحبة: فهو حياء المحب من محبوبه حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحسَّ به في وجهه، ولا يدري ما سببه، وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه ومناجاته له روعة شديدة، ومنه قولهم: جمالٌ رائعٌ؛ وسبب هذا الحياء والرَّوعة ممَّا لا يعرفه أكثر النَّاس، ولا ريب أنَّ للمحبَّة سلطاناً قاهراً للقلب أعظم من سلطان من يقهر البدن»[1].

٤ ـ التعفف:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ

(١) مدارج السَّالكين (٢/ ٢٦١).

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النَّفس**»(١).

«وعن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «**يا حكيم، إنَّ هذا المال خضرٌ حلو، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بُورِكَ له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يُبَارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى**»، قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدُّنيا، فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثمَّ إنَّ عمر - رضي الله عنه - دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنِّي أعرض عليه حقَّه الذي قسَمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيمٌ أحداً من النَّاس بعد النَّبي ﷺ حتى توفي»(٢).

وعنه - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول، وخيرُ الصَّدقة ما كان عن ظهر غنىً، ومن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله**»(٣).

وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: «**ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟**»، وكنَّا حديثي عهدٍ ببيعةٍ، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثمَّ قال: «**ألا تبايعون رسول الله؟**» فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٣٦٨) رقم ٦٠٨١، ومسلم (٢/ ٧٢٦) رقم ١٠٥١.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣/ ١١٥٤) رقم ٢٩٤٧، ومسلم (٢/ ٧١٧) رقم ١٠٣٥.

(٣) متفق عليه: البخاري - واللَّفظ له - (٢/ ٥١٨) رقم ١٣٦١، ومسلم (٢/ ٧١٧) رقم ١٠٣٤.

نُبَايِعُكَ؟، قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصَّلوات الخمس، وتطيعوا»، وأَسَرَّ كلمةً خَفِيَّة «ولا تسألوا النَّاس شيئًا»، فلقد رأيتُ بعضَ أولئك النَّفَرِ يسقطُ سوطُ أحدهم فما يسألُ أحداً يناوله إيَّاه»[1].

«قال ابن عيينة: دخل هشامٌ الكعبة فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال: سلني حاجةً، فقال سالم: من حوائج الدُّنيا أم من حوائج الآخرة؟، فقال: من حوائج الدُّنيا، قال: والله ما سألت الدُّنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟!»[2].

٥ـ السَّخاء والكرم والجود والإنفاق في سبيل الله:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا حسدَ إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله مالاً فَسَلَّطَهُ على هلكته في الحقِّ، ورجلٌ آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويُعَلِّمُهَا»[3].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكُم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله»، قالوا يا رسول الله، ما مِنَّا أحدٌ إلا ماله أحبُّ إليه، قال: «فإنَّ ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخر»[4].

«كان ابن المبارك إذا كان وقتُ الحجِّ، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نَصْحَبُكَ، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوقٍ، ويُقْفِلُ عليها، ثمَّ يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفقُ عليهم ويُطْعِمُهُم أطيب الطَّعام، وأطيب الحلوى، ثمَّ يُخرجهم من بغداد

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٢١) رقم ١٠٤٣.

(٢) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (١/ ٤٢١).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢/ ٥١٠) رقم ١٣٤٣، ومسلم (١/ ٥٥٩) رقم ٨١٦.

(٤) رواه البخاري (٥/ ٢٣٦٦) رقم ٦٠٧٧.

بأحسن زيٍّ وأكمل مروءةٍ، حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله ﷺ، فيقول لكلِّ واحدٍ: ما أمرك عيالُك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفها؟، فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثمَّ يخرجهم إلى مكَّة، فإذا قضوا حجَّهم، قال لكل واحدٍ منهم: ما أمَرَكَ عيالك أن تشتري لهم من متاع مكَّة؟، فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثمَّ يُخْرِجُهُم من مكَّة، فلا يزال يُنفقُ عليهم إلى أنْ يصيروا إلى مرو، فيُجَصِّصُ بيوتهم وأبوابهم. فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسرُّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كلِّ رجلٍ منهم صُرَّتَهُ عليها اسمه»[1].

«وكان سعد بن عبادة يرجع كلَّ ليلةٍ إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّةِ يُعشِّيهم»[2].

٦ ـ الصِّدق:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«إنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّابا»**[3].

«الصِّدق: نقيض الكذب»[4]، «وهو: إلقاء الكلام على وجهٍ مطابقٍ للواقع

(١) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (٢/ ٦٥٤، ٦٥٥).
(٢) المصدر السَّابق. (١/ ٥٠).
(٣) متفق عليه: البخاري (٥/ ٢٢٦١) رقم ٥٧٤٣، ومسلم (٤/ ٢٠١٢) رقم ٢٦٠٧.
(٤) لسان العرب. (٧/ ٣٠٦).

والاعتقاد، فالصِّدق من طريقٍ واحدٍ، أما نقيضه الكذب فضروبٌ وألوانٌ ومسالك ووديان»[(١)].

« وهو: موافقة الحقِّ في السِّرِّ والعلانية، وحقيقة الصِّدق: القول بالحقِّ في مواطن الهَلَكَة»[(٢)].

«فكلُّ عملٍ صالح ظاهر أو باطنٍ منشؤه الصِّدق، وكلُّ عملٍ فاسدٍ ظاهرٍ أو باطنٍ منشؤه الكذب، والله ـ تعالى ـ يعاقب الكذَّاب بأنْ يُقعده ويُثبِّطه عن مصالحه ومنافعه، ويُثيب الصَّادق بأنْ يُوفِّقه للقيام بمصالح دُنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدُّنيا والآخرة بمثل الصِّدق، ولا مفاسدها ومضارها بمثل الكذب»[(٣)]، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مع الصَّادقين﴾ [التوبة: ١١٩]

وقد قيل: «للصَّادقِ ثلاث خصال: الحلاوةُ، والملاحةُ، والمهابةُ»[(٤)].

«ولذلك فإنَّ صدق اللهجة عنوان الوقار، وشرف النَّفس، ونقاء السَّريرة، وسمو الهمَّة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الدِّيانة.

فمن تطلَّع إلى سمعةٍ فوق منزلته فليعلم أنَّ في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذةً وأقلاماً ناقدةً، فيزنون السُّمعة بالأثر، فتتمُّ تعريته عن ثلاثة معانٍ: فقد الثِّقة به من القلوب، وذهاب علمه وانحسار قبوله، وعدم تصديقه ولو صَدَقْ»[(٥)].

٦ـ تجنُّب كثرة المزاح:

«اعلم أنَّ المنهي عنه في المزاح الإفراط فيه أو المداومة عليه، أمَّا المداومة فلأنَّه اشتغال باللعب والهزل فيه، واللعب مباحٌ ولكن المواظبة عليه مذمومةٌ، وأمَّا

---

(١) حلية طالب العلم. ص ـ ٤٤ ـ.

(٢) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (٢/ ١١١٠).

(٣) الفوائد. ص ١٧٣.

(٤) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء. (٢/ ٧٠٢).

(٥) بتصرُّف من كتاب: حلية طالب العلم. ص ٤٣، ٤٤.

الإفراط فيه فإنَّه يورث كثرة الضَّحك، وكثرة الضَّحك تميت القلب، وتورث الضَّغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار، فما يخلو عن هذه الأمور»[١].

وعليه فإنَّ كثرة المزاح تقلِّل الهيبة، وتُسْقِطُ الحشمة فعن الأحنف بن قيس قال: «قال لي عمر بن الخطاب: يا أحنف، من كَثُرَ ضحكه قَلَّت هَيْبَتُه، ومن أكثَرَ من شيءٍ عُرِفَ به، ومن مَزَحَ استُخِفَّ به»[٢].

ويروىٰ أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ عدي بن أرطأة أنْ انْهَ مَنْ قِبَلَكَ عن المزاح؛ فإنَّه يذهبُ بالمروءة، ويُوغِرُ الصَّدر.

ويُحكَىٰ أنَّ قوماً صحبوا عمر بن عبد العزيز، فقال: «عليكم بتقوىٰ الله وحده لا شريك له، وإيَّاكم والمزاحة؛ فإنَّها تجرُّ القبيحة، وتورث الضَّغينة، تجالسوا بالقرآن، وتحدثوا به فَإِنْ ثقل عليكم فحديثٌ من حديث الرجال حَسَن، سيروا بِاسْمِ الله».

وقال جعفر بن محمد: «إيَّاكم والمزاح؛ فإنَّه يذهب بهاء الرَّجل، ويطفي نوره»[٣].

وقال سفيان بن عيينة: «سمعت محمد بن المنكدر يقول: قالت لي أمي: يا بُنَي! لا تمازح الصِّبيان فَتَهُونَ عليهم»[٤].

«فإيَّاكَ إيَّاكَ المزاحَ فإنه ... يُجَرِّي عليكَ الطفل والدَّنسَ النَّذلاَ
ويُذهِبُ ماءَ الوجهِ بعد بهائهِ ... ويُورِثُهُ من بعد عِزَّتِهِ ذُلاَّ

(١) إحياء علوم الدِّين. (١٢٨/٣).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع. (١/ ٦٣٣).
(٣) بتصرف من كتاب: «شعب الإيمان». (٣١٨/٤).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع. (١/ ٦٣٣).

لا تَمزَحَنْ فإذا مَزَحتَ فلا يكن ... مَزْحاً تُضَافُ به إلى سُوءِ الأدبْ
واحذر مُمَازحةً تَعُودُ عَدَاوَةً ... إنَّ المزاح على مُقَدِّمَة الغضبْ[1]

«عن عبد الله بن المبارك قال: قال سعيد بن العاص -رحمه الله- لابنه: يا بني، لا تمازح الشَّريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدَّنيء فيجترئ عليك.

وعن الليث بن سعد أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله- عنه قال: «هل تدرون لِمَ سُمِّيَ المزاح؟ قالوا: لا، قال: لأنَّه زاح عن الحقِّ».

وعن خالد بن صفوان -رحمه الله- قال: «كان يقال لكلِّ شيءٍ بذرٌ، وبذر العداوة المزاح».

وعن الحسن بن حيي -رحمه الله- قال: «المزاح استدراجٌ من الشَّيطان واختداع من الهوى».

وعن علي بن يعقوب القيسي قال: سمعت شيخاً ينشد اليزيدي هذين البيتين:

والوجه تخلقه المزاحة إنَّها ... لفظٌ يضرُّ ومنطقٌ لا يرشدُ
فدع المزاحة للسَّفيه فربَّما ... هاجت عجاجُ عداوةٍ لا تحمدُ

وعن الحسين بن عبد الرحمن رحمه الله قال: «كان يقال: المزاح مَسْلَبَةٌ للبهاء مَقْطَعَةٌ للصَّداقة»[2].

«وفي نصيحة مسعر بن كدام -رحمه الله- لابنه:

إنِّي نحلتك يا كدامُ نصيحتي ... فاسمعْ لقولِ أبٍ عليك شفيقِ
أما المزاحةُ والمراءُ فدَعْهما ... خُلُقَانِ لا أرضاهما لصديقِ
إني بُلِيتُهُمَا فلم أَحْمَدْهُمَا ... لمجاورٍ جاراً ولا لرفيقِ
والجهلُ يزري بالفتى في قومه ... وعروقُه في النَّاس أي عروقِ[3]

---

(١) الهمة العالية. ص ٥٥.
(٢) بتصرُّف من كتاب: الصَّمت. ص ٢١١، ٢١٢.
(٣) الصَّمت. ص ٢١٠.

«فإيَّاك أن تمازح لبيباً أو غير لبيب؛ فإنَّ اللبيب يحقد عليك، والسَّفيه يجترئ عليك؛ لأنَّ المزاح يخرق الهيبة، ويُسْقطُ ماء الوجه، ويُعْقبُ الحقد، ويُذْهِبُ بحلاوة الودِّ، ويشينُ فقه الفقيه، ويُجَرِّئُ السَّفيه، ويُسْقِطُ المنزلة عند الحكيم، ويَمْقُتُهُ المتَّقون، وهو يُميتُ القلب، ويُباعِدُ عن الربِّ ـ تعالىٰ ـ، ويُكْسِبُ الغفلة، ويُورثُ الذلَّة، و به تظلم السَّرائر وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوبُ، وتبين الذنوبُ، وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخفٍ أو بطرٍ، ومن بُلِيَ في مجلسٍ بمزاحٍ أو لغطٍ فَلْيَذْكُرِ الله عند قيامه»[١].

ما يجوز من المزاح:

«إنَّ ما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه، والذي لا يَخْرُجُ عن حدِّ الأدب وطريقة العلم، فأمَّا متَّصله وفاحشه وسخيفه وما أوْغَرَ منه الصُّدور، وجلب الشَّرَّ، فإنَّه مذمومٌ»[٢].

رابعاً: الصَّبر:

الصَّبر: نقيض الجزع، وهو حبسُ النفسِ عند الجزع[٣].

إذاً فالصَّبر هو حبسُ النَّفْسِ اختياراً عند جزعها عن إجابة وسوسة الشيطان، واتِّباع الهوىٰ المذموم، والإذعان إلىٰ إيحاءات النَّفس الأمارة بالسُّوء.

ولقد ذكر الله الصَّبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً منها:

حثَّ ـ سبحانه ـ علىٰ الصَّبر والمصابرة في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وبَشَّرَ الصَّابرين في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

---

(١) إحياء علوم الدين. (٣/ ١٩٣).

(٢) حلية طالب العلم. ص ١٢.

(٣) لسان العرب. (٧/ ٢٧٦).

وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ١٥٧].

وفي قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر: ١٠].

وقرنه بالصلاة في قوله ـ عز من قائل ـ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وبيّن أنّ الصبر من عزائم الأمور في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [الشورى: ٤٣].

وأوضح ـ سبحانه ـ أنه تمحيصٌ لتبيين المجاهدين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ [محمد: ٣١].

وذكر ـ سبحانه ـ بأنّه شرطٌ من شروط الولاية في الدين في قوله ـ عز من قائل ـ: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة: ٢٤].

وبيّن ـ سبحانه ـ أنّه أحد العوامل المُنجية للإنسان من الخسران والهلاك في قوله تعالى: ﴿ والعصر (١) إن الإنسان لفي خسر (٢) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر: ١ـ٣].

وحثّ الرسول ﷺ على الصبر في أحاديث كثيرة، فعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نورٌ، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياءٌ، والقرآن حجّةٌ لك أو عليك، كلُّ النّاس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها»**[1].

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ـ رضي الله عنهما ـ أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كلّ شيءٍ بيده: **« ما يكن من خير فلنْ أدّخره عنكم، ومن**

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٠٣) رقم ٢٢٣.

يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، ومن يَتَصَبَّرْ يُصبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر»[1].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَجَباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلَّه له خيرٌ وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إنْ أصابته سَرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضَرَّاءُ صبر فكان خيراً له»**[2].

ومن ذلك يتبيَّن أنَّ الصَّبر أمرٌ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ مُكَلَّفٍ؛ فالمؤمن يحتاج إليه عند نزول البلاء والشَّدائد مثل الخوف، والجوع، ونقص الأموال، وفقد الحبيب، وكلِّ الكوارث الطَّبيعية وغير الطَّبيعية؛ لينال الأجر والثَّواب، كما يحتاج إليه المجاهد في سبيل الله؛ ليثبت في ميدان المعركة، والدَّاعية؛ ليقوم بتبليغ الحقِّ ويُقاوم تيار المخالفين، والقاضي؛ ليُعينه في القضاء بين الناس، والعالم؛ لينال به الإمامة في الدِّين، والشَّاب؛ ليتحصَّن به من شهوة الفرج، والوالدان؛ ليستعينا به في تربية أبنائهما، والزَّوجان؛ ليعينهما على القيام بالحقوق الزَّوجية لبعضهما البعض، والمعلم؛ ليستعين به في تربية وتعليم طلَّابه، وكلُّ من هو مسئولٌ؛ ليقوم بحقوق من هم تحت مسئوليته.

ولذلك تختلف مراتب الصَّبر وأسماؤه باختلاف متعلَّقه «فإنْ كان صبراً عن شهوة الفرج المحرَّمة سُمِّي عفَّةً وضدُّها الفجور والزِّنا والعهر. وإنْ كان عن شهوة البطن وعدم التَّسرُّع إلى الطَّعام أو تناول مالا يجمل منه سُمِّي شرف نفسٍ وشبع نفسٍ وسُمِّي ضدُّه شرهاً ودناءةً ووضاعة نفسٍ، وإنْ كان عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام سُمِّي كتمان سرٍّ وضدُّه إذاعة وإفشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبَّاً أو كذبا أو قذفاً، وإنْ كان عن فضول العيش سُمِّي زهداً وضده حرصاً، وإنْ كان على قدرٍ يكفي من الدنيا سُمِّي قناعةً وضدها الحرص أيضاً، وإنْ كان

(١) متفقٌ عليه: البخاري (٢/ ٥٣٤) رقم ١٤٠٠، ومسلم (٢/ ٧٢٩) رقم ١٠٥٣.

(٢) رواه مسلم: (٤/ ٢٢٩٥) رقم ٢٩٩٩.

عن إجابة داعي الغضب سُمِّي حِلْماً وضده تسرعاً، وإنْ كان عن إجابة داعي العجلة سمي وقاراً وثباتاً وضده طيشاً وخفَّةً، وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب سُمِّي شجاعةً وضده جبناً وخوراً، وإنْ كان عن إجابة داعي الانتقام سُمِّي عفواً وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبةً، وإنْ كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي جوداً وضدُّه بخلاً، وإنْ كان عن إجابة داعي الطَّعام والشَّراب في وقتٍ مخصوصٍ سُمِّي صوماً، وإنْ كان عن إجابة داعي العجز والكسل سُمِّي كيساً، وإنْ كان عن إجابة داعي إلقاء الكيل على النَّاس وعدم حمل كلهم سُمِّي مروءةً.

فله عند كلِّ فعلٍ وتركٍ اسمٌ يخصُّه بحسب متعلَّقه، والاسم الجامع لذلك كلّه الصَّبر، وهذا يدلُّك على ارتباط مقامات الدِّين كلِّها بالصَّبر من أولها إلى آخرها، وهكذا يسمى عدلاً إذا تعلَّق بالتَّسوية بين المتماثلين، وضدّه الظُّلم، ويُسمَّى سماحةً إذا تعلَّق ببذل الواجب والمستحبِّ بالرِّضا والاختيار، وعلى هذا جميع منازل الدين»[1].

(١) عُدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. ص ١٢ .

ثمرات حسن الخلق

١ - كمال الإيمان:

إنَّ المؤمن يكمل إيمانه بحسنِ خُلُقِه مع النَّاس، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»**[(١)].

٢ - محبَّة الله ومحبَّة خَلْقه:

إنَّ معاملة العبد للنَّاس بخُلُقٍ حَسَنٍ من الأسباب التي تُكسبه حبَّ الله - سبحانه وتعالى - له، ومن ثمَّ تُكسبه حبَّ واحترام وتقدير النَّاس في الدُّنيا، فعن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: كنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ ما فينا من متكلِّم كأنَّما على رؤوسنا الطَّير، فجاء أناسٌ إلى النَّبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، من أحبُّ العباد إلى الله؟ فقال ﷺ: **«أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً»**[(٢)].

وهذا دليلٌ على أنَّ حَسَنَ الخُلُقِ من أحبِّ العباد إلى الله - سبحانه وتعالى -، ويترتَّب على محبَّة الله للعبد حبٌّ واحترام ومودَّة عباد الله لذلك العبد الذي أحبَّه الله؛ وذلك لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - إذا أحبَّ عبداً يزرع له القبول والمحبَّة

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٢٠) رقم ٤٦٨٢.

وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧) رقم ٧٣٩٦، ١٠١١٠، ١٠٨٢٩، (٦/ ٤٧، ٩٩) رقم ٢٤٢٥٠، ٢٤٧٢١.

والتِّرمذي في سننه (٣/ ٤٦٦) رقم ١١٦٢.

وابن حبَّان في صحيحه (٢/ ٢٢٧) رقم ٤٧٩، (٩/ ٤٨٣) رقم ٤١٧٦.

والحديث صحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ٢٨٤، وفي صحيح الجامع برقم ١٢٣٠.

(٢) أخرج أحمد نحوه (٤/ ٢٧٨)، والحديث في السِّلسلة الصَّحيحة برقم ٤٣٣، وفي صحيح الجامع برقم ١٧٩.

في قلوب عباده في السَّماء والأرض، فيُحبُّه أهل السَّماء وأهل الأرض، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال: إنِّي أحبُّ فلاناً فأحبَّه، قال: فيُحبُّه جبريل، ثمَّ ينادي في السَّماء فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه فيحبه أهل السَّماء، قال: ثمَّ يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثمَّ ينادي في أهل السَّماء: إنَّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثمَّ توضع له البغضاء في الأرض»**[(١)].

٣ ـ الرِّفعة والمكانة الحسنة بين النَّاس:

إنَّ حسن الخلق يُكسِبُ صاحبه رفعةً ومكانةً حسنةً بين النَّاس؛ وهذا يُكْسِبُهُ الخيرية من بينهم لِخلقه الحسن، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحِّشاً، وكان يقول: **«إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً»**[(٢)].

٤ ـ الظَّفر بدرجات صائم النَّهار قائم الليل:

إن العبد ينال بحسن خلقه مع عباد الله درجات قائم الليل صائم النَّهار، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الرَّجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النَّهار»**[(٣)].

٥ ـ ثقل الميزان يوم القيامة:

حسنُ خُلُقِ العبد المؤمن الذي يتعامل به مع عباد الله من أفضل الأعمال

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣/ ١١٧٥) رقم ٣٠٣٧، ومسلم ـ واللفظ له ـ (٤/ ٢٠٣٠) ٢٦٣٧.

(٢) متفق عليه: البخاري ـ واللفظ له ـ (٣/ ١٣٠٥) رقم ٣٣٦٦، ومسلم (٤/ ١٨١٠) رقم ٢٣٢١.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٨٧) رقم ٢٥٥٧٨،
وأبو داود (٤/ ٢٥٢) رقم ٤٧٩٨، ولفظه «إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه ...».
والحديث في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ٧٩٥، وفي صحيح الجامع برقم ١٦٢٠.

الصَّالحة التي تُثقِلُ ميزانه يوم القيامة، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما من شيءٍ أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإنَّ الله يبغض الفاحش البذيء»**[1].

٦ - دخول الجنَّة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل النَّاس الجنَّة، قال: **«تقوى الله وحسن الخلق»** وسُئل عن أكثر ما يُدخل النَّاس النار، فقال: **«الفم والفرج»**[2].

عن أم الدرداء قالت: «قام أبو الدَّرداء ليلةً يصلِّي، فجعل يبكي ويقول: اللهمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدَّرداء، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلاَّ في حسن الخلق، فقال: يا أمَّ الدرداء، إنَّ العبد المسلم يَحْسُنُ خُلُقُهُ حتى يُدخِلَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ الجنَّة، ويَسيءُ خُلُقُهُ حتى يدخله سوءُ خُلُقِهِ النَّار»[3].

٧ - ضمان الرَّسول ﷺ بيتاً في أعلى الجنَّة:

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم بيتٍ في ربض الجنَّة لمن ترك المراء وإنْ كان محقّاً، وبيتٍ في وسط الجنَّة لمن ترك الكذب وإنْ كان مازحاً، وبيتٍ في أعلى الجنَّة لمن حَسُنَ خلقه»**[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦) رقم ٢٧٥٥٧، وأبو داود (٤/ ٢٥٣) رقم ٤٧٩٩، والتِّرمذي (٤/ ٣٦٣) رقم ٢٠٠٣.

وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٧٦، وفي صحيح الجامع برقم ٥٧٢١.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) رقم ٧٨٩٤، والتِّرمذي (٤/ ٢٦٣) رقم ٢٠٠٤.

والحديث حسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٢٢٢.

(٣) الأدب المفرد ص ١٠٨.

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣) رقم ٤٨٠٠.

والحديث حسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٤٦٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٣.

«فجعل البيت العُلْوي جزاءً لأعلى المقامات الثَّلاثة وهي حسن الخُلُق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة، وإنْ كان معه حقٌّ، ولا ريب أنَّ حسن الخلق مشتملٌ على هذا كلِّه»(١).

٨ ـ الظَّفر بمحبَّة رسول الله ﷺ والقرب منه مجلساً يوم القيامة:

فعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ من أحبِّكم إلي وأقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثَّرثارون(٢) والمتشدِّقون(٣) والمتفيقهون»**. قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثَّرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: **المتكبِّرون»**(٤).

---

(١) مدارج السَّالكين (٢/ ٣٠٧).

(٢) الثرثار: هو كثير الكلام تكلُّفاً.

(٣) المتشدق: هو المتطاول على النَّاس بكلامه، والمتكلِّم بملء فيه تفاصحاً.

(٤) أخرجه التِّرمذي (٤/ ٣٧٠) رقم ٢٠١٨.

والحديث حسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٢٠١، وفي سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ٧٩١.

سوء الخلق

إذا لم يحصل اعتدال في قوة العلم تولَّد عن ذلك إمَّا جَهْلٌ مُعْتِمٌ أو ضَلاَلٌ مُظْلِمٌ.

وكذلك إذا لم يحصل اعتدالٌ في قوة الغضب نَتَجَ عنه تَهَوُّرٌ وطَيْشٌ مُدَمِّرٌ أو جُبْنٌ وخَوَرٌ مُقْعِدٌ، هو السَّبب في ظهور الكثير من الخصال المذمومة مثل: الظُّلم، والبغي، والانتقام، والحقد، والحسد، وسوء الظَّنِّ، والسُّخرية، والاحتقار، والهمز، واللمز، والسَّفه، والطَّيش، وعُبُوس الوجه، والتَّهوُّر، والعجلة، والقسوة، والكبر، والتَّعالي، وتصعير الخدِّ، واللؤم، والتَّجسُّس، والنَّذالة، والخساسة، وأمثال ذلك من خصال سوء الخُلُق.

وأيضاً إذا لم يحصل اعتدالٌ في قوة الشَّهوة تَوَلَّدَ عن ذلك الكثير من الخصال المذمومة الناتجة عن تلبية نداءات شهوات النَّفس مثل: قلة الحياء، والدَّناءة، والبذاءة، والفحش، والغيبة، والنَّميمة، والهمز، واللَّمز، والسُّخرية، والاحتقار، والكذب، والسَّبِّ، واللَّعن، والشَّره، والنَّهم، والتَّطَفُّل، والقذارة، والحسد، والطَّمع، والحرص، والبخل، والجشع، والجبن، والكبر، والذُّل، والحَمِيَّة، وأمثال ذلك من خصال سوء الخُلُق.

وذلك كلُّه ناتجٌ عن ظلم الإنسان لنفسه.

أركان سوء الخُلق هي:

١ ـ الجهل المعتم، أو العلم الضَّال المخالف للكتاب والسُّنَّة.

٢ ـ الانحراف عن الاعتدال في قوة الغضب.

٣ ـ الانحراف عن الاعتدال في قوة الشَّهوة.

٤ ـ الظُّلم.

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومنشأ جميع الأخلاق السَّافلة وبناؤها

على أربعة أركان: الجهل، والظُّلم، والشَّهوة، والغضب.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح والقبيح، في صورة الحسن والكمال نقصاً، والنقص كمالاً.

والظُّلم: يحمله على وضع الشَّيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشِّدَّة، ويشتدّ في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزَّة، ويتكبَّر في موضع التَّواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشُّحِّ والبخل وعدم العفَّة والنَّهمة والجشع والذُّل والدَّناءات كلِّها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسَّفه.

ويتركَّب من بين كلِّ خُلُقَين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة، وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النَّفس في الضعف وإفراطها في القوَّة، فيتولَّد من إفراطها في الضَّعف: المهانة، والبخل، والخسة، واللؤم، والذُّل، والحرص، والشُّحُّ، وسفساف الأمور والأخلاق، ويتولَّد من إفراطها في القوَّة: الظُّلم، والغضب، والحدَّة، والفحش، والطَّيش.

ويتولَّد من تزوُّج أحد الخلقين بالآخر: أولاد غية كثيرون، فإنَّ النَّفس قد تجمع قوةً وضعفاً، فيكون صاحبها أجبرَ النَّاس إذا قدر، وأذلهم إذا قُهِر، ظالماً عنوفاً جبَّاراً، فإذا قُهِرَ صار أَذَلَّ من امرأةٍ، جباناً عن القويِّ، جريئاً على الضعيف.

فالأخلاق الذَّميمة: يولد بعضها بعضاً كما أنَّ الأخلاق الحميدة يولد بعضها بعضاً»[1].

«والأخلاق السَّيئة هي السُّموم القاتلة، والمهلكات الدَّامغة، والمخازي

---

(١) مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٠٨).

الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار ربِّ العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشَّياطين»(١).

«وسيِّئ الخُلُق أشقى النَّاس به نَفْسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثمَّ زوجته، ثمَّ ولده، حتى إنَّه ليدخل بيته وإنَّهم لفي سرورٍ فيسمعون صوته فينفرون عنه فَرَقاً منه، وحتى إنَّ دابَّتَهُ تحيد ممَّا يرميها بالحجارة، وإنَّ كلبه لَيَرَاهُ فَيَنْزَوي على الجدار»(٢).

أولاً: الجهل:

«الجهل: نقيض العلم»(٣).

وهو على نوعين:

١ ـ جَهْلٌ بسيطٌ: وهو عدم العلم بالشَّيء أصلاً، ومثاله في العلم الشَّرعي: عدم العلم بما في الكتاب والسُّنَّة.

ويقع في هذا النَّوع من الجهل الكثير من العامة الذين لم يتلقوا العلم الشَّرعي عن أحد.

٢ ـ جَهْلٌ مركبٌ: وهو العلم المخالف للحقيقة، ومثاله في العلم الشَّرعي: كلُّ علمٍ يحيد عن الكتاب والسُّنَّة ويخالفهما.

ويقع في هذا النَّوع من الجهل الكفَّار من أهل الكتاب والمشركين كما يقع فيه كلُّ من ابتدع في الدِّين كالرافضة والصوفيَّة.

فأهل الجهل بنوعيه غذاء آذانهم سماع ما حرَّم الله، وغذاء أعينهم النَّظر إلى حرمات الله، وغذاء ألسنتهم الكلام فيما حرَّم الله، وغذاء بطونهم أكل ما حرَّم الله، وغذاء قلوبهم الغفلة والبعد عن ذكر الله، وغذاء جوارحهم في انتهاك ما

---

(١) إحياء علوم الدِّين (٣/ ٤٩).

(٢) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النُّبلاء (٢/ ٥٢٥).

(٣) لسان العرب (٢/ ٤٠٢).

حرَّم الله، وذلك كلُّه من سوء الخُلُق.

أمَّا أهل العلم الحقِّ فغذاء آذانهم سماع الحقِّ كما أخبر عنهم خالقهم في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] ، وغذاء أعينهم النَّظر إلى الحلال، وغذاء ألسنتهم قال الله وقال رسوله ﷺ، وغذاء بطونهم ما أحلَّ الله لهم من طيبات الرِّزق، وغذاء قلوبهم ذكر الله، وغذاء جوارحهم في الكفِّ عن البطش والإيذاء، وذلك كلُّه من حسن الخُلُق.

« فشجرة الجهل تثمر كلَّ ثمرةٍ قبيحةٍ من الكفر، والفساد، والشِّرك، والظُّلم، والبغي، والعدوان، والجزع، والهلع، والكنود، والعجلة، والطَّيش، والحدَّة، والفحش، والبذاءة، والشُّح، والبخل؛ ولهذا قيل في حدِّ البخل جهلٌ مقرون بسوء الظَّنِّ، ومن ثمرته: الغشُّ لِلْخَلْقِ، والكبر عليهم، والفخر، والخيلاء، والعجب، والرياء، والسُّمعة، والنِّفاق، والكذب، وإخلاف الوعد، والغلظة على النَّاس، والانتقام، ومقابلة الحسنة بالسَّيِّئة، والأمر بالمنكر والنَّهي عن المعروف، وترك القبول من الناصحين، وحبُّ غير الله ورجاؤه والتَّوكُّل عليه وإيثار رضاه على رضا الله وتقديم أمره على أمر الله، والتماوت عند حقِّ الله، والوثوق بما عند حقِّ نفسه، والغضب لها، والانتصار لها، فإذا انتهكت حقوق نفسه لم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتقم بأكثر من حقِّه، وإذا انتهكت محارم الله لم ينبض له عرقٌ غضباً لله، فلا قوَّة في أمره ولا بصيرة في دينه، ومن ثمرتها الدَّعوة إلى سبيل الشَّيطان، وإلى سلوك طرق البغي، واتباع الهوى، وإيثار الشهوات على الطَّاعات، وقيل وقال، وكثرة السُّؤال، وإضاعة المال، ووأد البنات، وعقوق الأمهات، وقطيعة الأرحام، وإساءة الجوار، وركوب مركب الخزي والعار.

وبالجملة فالخير بمجموعه ثمرٌ يجتنى من شجرة العلم، والشرُّ بمجموعه شوك

يجتنى من شجرة الجهل، فلو ظهرت صورة العلم للأبصار لزاد حسنها على صورة الشمس والقمر، ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها أقبح منظرٍ، بل كلُّ خيرٍ في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرُّسل ومسبب عنه، وكذلك كلُّ خيرٍ يكون إلى قيام السَّاعة وبعدها في القيامة، وكلُّ شرٍّ وفسادٍ حصل في العالم ويحصل إلى قيام السَّاعة وبعدها في القيامة فسببه مخالفة ما جاءت به الرُّسل في العلم والعمل»[١].

ثانياً: الغضب:

الغضب: نقيض الرِّضا.

والغضب من المخلوقين شيءٌ يُدَاخِلُ قلوبهم، ومنه محمودٌ ومذمومٌ، فالمذموم ما كان في غير الحقِّ، والمحمود ما كان في جانب الدِّين والحقِّ»[٢].

فإذا غضب العبد لنفسه وانتصر لها فإنَّه يوصم بسوء الخُلُق؛ لأنَّ هذا النَّوع من الغضب يقود صاحبه إلى الكبر، والحقد، والحسد، وسوء الظَّنِّ، والعدوان، والبطش، والسفه، والاستهزاء، وغير ذلك من الخصال السَّيئة.

« ومن آثار هذا الغضب في الظَّاهر: تغير اللون، وشدَّة الرِّعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن التَّرتيب والنِّظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزُّبد على الأشداق، وتَحْمَرُّ الأحداق، وتنقلب المناخر، وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لَسَكَنَ غضبه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإنَّ الظَّاهر عنوان الباطن، وإنَّما قبحت صورة الباطن أولاً ثمَّ انتشر قبحها إلى الظَّاهر ثانيا، فتَغَيُّرُ الظَّاهر ثمرة تَغَيُّرِ الباطن، فقس الثَّمرة بالمثمرة، فهذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان: فانطلاقه بالشَّتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١١٧).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٧٨).

ذو العقل، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبُّط النَّظم، واضطراب اللفظ.

أمَّا أثره على الأعضاء: فالضَّرب والتَّهجُّم، والتَّمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن من غير مبالاةٍ، فإنْ هرب منه المغضوب عليه، أو فاته بسببٍ، وعجز عن التَّشفِّي، رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه، ولطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض، ويعدو عدو الواله السَّكران، والمدهوش المتحيِّر، وربَّما يسقط سريعاً لا يطيق العدو والنُّهوض بسبب شدَّة الغضب، ويعتريه مثل الغشية، وربَّما يضرب الجمادات والحيوانات، فيضرب القصعة مثلاً على الأرض، وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها، ويتعاطى أفعال المجانين، فيشتم البهيمة والجمادات، ويخاطبها، ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت، كأنَّه يخاطب عاقلاً، حتى ربَّما رفسته دابةٌ فيرفس الدَّابة ويقابلها بذلك.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه: فالحقد، والحسد، وإضمار السُّوء، والشَّماتة بالمساءات، والحزن بالسُّرور، والعزم على إفشاء السِّرِّ، وهتك السِّتر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرط»[(١)].

الأسباب المهيجة للغضب:

«الأسباب المهيجة للغضب هي:

الزُّهوُّ، والعُجْبُ، والمزاح، والهزل، والهزء، والتَّعيير، والمماراة، والمضادة، والغدر، وشدَّة الحرص على فضول المال والجاه»[(٢)].

وسائل الخلاص من الغضب:

« إنَّ مسببات الغضب بأجمعها أخلاقٌ رديئةٌ مذمومةٌ شرعاً، ولا خلاص من الغضب مع بقاء مسبباته، فلا بدَّ من إزالة تلك الأسباب بأضدادها.

---

(١) إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٦٨).

(٢) إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٧٢).

فيُزالُ الزَّهْوَ بالتَّواضع، ويُزالُ العُجْبَ بمعرفة العبد نفسه، ويُزالُ الفخر بمعرفة العبد بأنَّ التَّفاضل بين النَّاس بالتَّقوىٰ، ويُزالُ المزاح بالتَّشَاغُلِ بالمهمات الدِّينية التي تستوعب العمر، ويُزالُ الهَزَل بالجدِّ في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدِّينية التي تبلغ العبد إلىٰ سعادة الآخرة، ويُزالُ الهزء بالتَّكرُّم عن إيذاء النَّاس وبصيانة النَّفس عن أن يستهزأ بها أحدٌ، ويُزالُ التَّعيير بالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مُرِّ الجواب، وتُزالُ شدَّة الحرص علىٰ مزايا العيش بالقناعة بقدر الضَّرورة طلباً لعزِّ الاستغناء وترفُّعاً عن ذلِّ الحاجة»(١).

ثالثاً: الشَّهوة:

«شَهِيَ الشَّيء وشَهَاهُ شَهْوَةً واشتهاه وتَشَهَّاهُ: أَحَبَّهُ ورَغِبَ فيه»(٢).

فوساوس الشَّيطان المغوية، وإيحاءات النَّفس الأمارة بالسُّوء، ونزغات الهوىٰ المتبع تحيد بشهوة العبد عن حدِّ الاعتدال إلىٰ الزَّيغ والانحراف، فتحيد بشهوة الفرج من العفَّة إلىٰ الشَّبق، وبشهوة العين من غضِّ البصر إلىٰ النَّظر إلىٰ ما حرَّم الله، وبشهوة اللسان من الكلام الطَّيب إلىٰ البذاءة والفحش والسَّبِّ واللعن، وبشهوة البطن من شرف النَّفس إلىٰ الشَّرَهِ والنَّهَم، وبشهوة المال من القناعة إلىٰ الطَّمع والجشع والشُّحِّ.

رابعاً: الظُّلم:

«الظلم: وضع الشَّيء في غير موضعه.

وهو أيضاً: الميل عن القصد»(٣).

إذاً فالظُّلم: هو الميل عن قصد الاعتدال في قوتي الغضب والشَّهوة.

وعاقبة الظلم وخيمة لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

---

(١) بتصرُّفٍ من كتاب: إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٧٢).

(٢) لسان العرب (٧/ ٢٣٠).

(٣) لسان العرب (٨/ ٢٦٣، ٢٦٤).

إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٤٢) مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣) وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٥].

وقوله - تعالى -: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ [الشورى: ٤٢].

وقوله - تعالى -: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والأحاديث التي تدلّ على سوء عاقبة الظُّلم منها:

عن أبي موسى - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليملي للظَّالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**، قال: ثمَّ قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢]»[(١)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلله منها؛ فإنَّه ليس ثمَّ دينارٌ ولا درهم من قبل أنْ يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»[(٢)].

وعن أبي ذر عن النَّبيِّ ﷺ فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنَّه قال: «**يا عبادي، إنِّي حرمت الظُّلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا**»[(٣)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إنَّ المفلس من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنْ فنيت**

(١) رواه البخاري (٤/ ١٧٢٦) رقم ٤٤٠٩.

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٣٩٤) رقم ٦١٦٩.

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٩٤) رقم ٢٥٧٧.

حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثمَّ طُرح في النَّار»[(١)].

مراتب الظلم:

المرتبة الأولى: ظلم العبد مع خالقه:

وهو الميل عن إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة، وهذا هو الشِّرك أعظم الظُّلم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وإذ قال لُقمانُ لابْنه وهُو يعظُهُ يا بُنيَّ لا تُشْركْ باللَّه إنَّ الشِّرك لَظُلْمٌ عظيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

المرتبة الثَّانية: ظلم العبد مع خلق الله:

وهو الميل عن قصد الاعتدال في قوتي الغضب والشَّهوة في التَّعامل مع النَّاس، فينتج عن ذلك إيذاؤهم، والتَّعدي عليهم، والبطش بهم، أو عدم القيام بحقوقهم.

المرتبة الثالثة: ظلم العبد مع نفسه:

وهو الميل عن قصد الاعتدال في قوتي الغضب والشَّهوة، فينتج عن ذلك ارتكاب الذُّنوب والبدع.

فالجاهل ظالمٌ لنفسه؛ لأنَّ جهله يحيد به عن قصد الاعتدال في قوتي الغضب والشَّهوة، فيوقعه بين شقَّيْ رحَى تلك القوتين اللتين توقعانه في مغبة الظُّلم مع الله ومع عباد الله. فيكون سيئ الخُلُقِ من هذه النَّاحية ظالماً مع خالقه بالوقوع إمَّا في الشِّرك أو البدعة أو المعصية، ومع خَلْقِ الله بإيذائهم والتَّعدِّي عليهم والضَّرر بهم أو بعدم القيام بحقوقهم، ومع نفسه بارتكاب تلك الذُّنوب.

فلا تعجل على أحدٍ بظلمٍ ... فإنَّ الظُّلْمَ مرتعهُ وخيمُ

«وقلت:»[(٢)]

فَلاَ تَظْلِمِ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ ... فَمَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ إلاَّ ذِئَابْ

ذِئَابُ الوَرَىٰ شَرُّهَا واسِعٌ ... تَرَىٰ في الأذَىٰ مَا يُسِيلُ اللُّعَابْ

(١) رواه مسلم (٤/١٩٩٧) رقم ٢٥٨١.

(٢) في قصيدة «وصايا محب».

عواقب سوء الخلق

إنَّ معاملة النَّاس بِخُلُقٍ سيءٍ بدلاً من الخُلُقِ الحَسَن، كالمعاملة بالقسوة والغلظة بدلاً من الرَّحمة والشَّفقة والرِّفق، أو بالغضب والانتصار للنَّفس بدلاً من كظم الغيظ، أو بالتَّكبُّر والغطرسة والتَّفاخر بدلاً من التَّواضع، أو بسُوءِ الظَّنِّ بدلاً من حُسْنِ الظن، أو بالحَسَد بدلاً من الغِبْطَة، أو بالمقابلة بوجهٍ مكفهر عبوسٍ بدلاً من المقابلة بطلاقة الوجه وتبسُّم الثَّغر، أو بالكلام البذيء أو الفاحش أو القاسي بدلاً من الكلام الطَّيب اللين، أو بالوقاحة وقلَّة الحياء بدلاً من الحياء، أو بالإهانة بدلاً من التَّوقير والاحترام والإكرام، أو غير ذلك من الأخلاق السَّيئة بدلاً من الأخلاق الحسنة، كُلُّ ذلك له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، وهذه العواقب مرتبطة ببعضها البعض، بحيث تتسبَّب كلُّ عاقبةٍ في حدوث العاقبة التي تليها.

ومن هذه العواقب ما يلي:

أولاً: التركيز على الأخطاء:

إنَّ المعاملة بسوء الخُلُق تُوَرِّثُ فيمن يتعامل بها داء التَّرَصُّد والتَّنقيب عن الأخطاء والتَّركيز عليها إمَّا بالتجسُّس[1]، أو بالتحسُّس[2].

وكلا الأمرين منهيٌّ عنه، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إيَّاكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»**[3].

(١) التَّجسُّس: البحث عن العورة، والتَّفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يُقال في الشَّرِّ. أنظر لسان العرب (٣/ ١٧٠) و(٢/ ٢٨٣).

(٢) التحسُّس: شبه التَّسمُّع والتَّبصُّر. أنظر لسان العرب (٣/ ١٧٠).

(٣) متفق عليه: البخاري ـ وفيه «ولا تناجشوا» (٥/ ٢٢٥٣) رقم ٥٧١٩.

ومسلم ـ واللفظ له ـ (٤/ ١٩٨٥) رقم ٢٥٦٣.

ثانياً : سوء الفَهم:

إنَّ التَّركيز على الأخطاء يُوَرِّثُ سوءَ الفَهْم، فيفهم كلُّ واحدٍ من المتخاصمين الآخر على غير المراد الذي يريده، فتنشأ بينهم العداوة والتَّباغض والتَّدابر.

ثالثاً: العداوة والتَّباغض والتَّدابر:

إنَّ العداوة والتَّباغض والتَّدابر نتيجةٌ حتميَّة لسوء الفَهْم، وينتج عنها مباشرةً الخصومات والادعاءات، ومن ثمَّ التَّقاطع والهجران.

والقطيعة والهجران بين المسلمين عاقبتهما وخيمةٌ، فبسببها لا يغفر الله للعبد إلا إذا اصطلح مع الذي بينه وبينه بغضاء وشحناء، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«تفتح أبواب الجنَّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فَيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا»**(١).

رابعاً: انعدام الثِّقة:

إنَّ العداوة والتَّباغض والتَّدابر ينشأ عنها ـ ولا شك ـ أزمةٌ في الثِّقة بين النَّاس، فلا يولي أحدٌ ثقته في الآخر.

خامساً: نقص الإيمان:

إنَّ أزمة الثِّقة بين النَّاس والتي نتجت عن مُخَالقَتهم لبعضهم البعض بأخلاقٍ سيئةٍ، ما هي إلاَّ نوعٌ من أنواع الظُّلم الذي يُنقص إيمان العبد، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً وخياركم خياركم لنسائهم»**(٢).

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٧) رقم ٢٥٦٥ .

(٢) رواه التِّرمذي (٣/ ٤٦٦) رقم ١١٦٢ . وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٢) رقم ١٠١١٠ . وابن حبَّان في صحيحه (٩/ ٤٨٣) رقم ٤١٦٧ .

والحديث صحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة برقم ٢٨٤ ، وفي صحيح الجامع برقم ١٢٣٢ .

ومفهوم الحديث أنَّ من ساءت أخلاقه مع الآخرين نقص إيمانه.

سادساً: انعدام الأمن:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينه

إنَّ نقصان الإيمان يؤدي إلى نتيجةٍ حتميةٍ مخيفةٍ ألا وهي انعدام الأمن؛ وذلك لأنَّ شرط الأمن هو الإيمان وعدم لَبْسِ ذلك الإيمان بالظُّلم، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ومن الظُّلم التَّخَلُّق بالأخلاق السيئة مع الآخرين، فكيف يكون أمنٌ بين أولئك الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بأخلاقهم السَّيئة؛ ولذلك فإنَّه لا يُستغرب إنْ رأينا أنَّ كلَّ واحدٍ من أولئك لا يأمن على نفسه، وماله، وأهله، وعرضه من الآخرين.

سابعاً: الضّيق:

كلُّ ما سَبَق من عواقب هي ذنوبٌ ناتجةٌ عن ظلم العبد مع خالقه بالوقوع إمَّا في الشِّرك أو البدعة أو المعصية، ومع خَلْقِ الله بإيذائهم والتَّعدِّي عليهم والضَّرر بهم أو بعدم القيام بحقوقهم، ومع نفسه بارتكاب تلك الذُّنوب، وكلُّ ذلك إعراضٌ عن ذكر الله، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول في محكم كتابه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، ولذلك فإنَّ تخلِّي العبد عن التَّحلِّي بالأخلاق الحسنة مع من حوله من النَّاس: والديه، وإخوانه، وزوجه، وأبنائه، وأرحامه، وجيرانه، وأصحابه، وخلاَّنه يجعله يعيش معيشةً ضنكًا في هذه الحياة الدُّنيا؛ لأنَّ ما يقوم به ما هو إلاَّ إعراضٌ عن ذكر الله وظلمٌ لعباد الله عاقبته العاجلة في الدُّنيا الشُّعور بالضِّيق.

فعواقب سوء الخُلُق بمجملها تؤدي إلى تَكَوُّنِ مجتمعٍ متهالك هشٍ، ضعيف البنيان والأركان، منزوع الثِّقة منعدم الأمن، تسوده المخاوف والقلاقل والفتن.

الخاتمة

«تَقْوَىٰ الفَتَىٰ في الوَرَىٰ حِفْظٌ وعُمْرَانُ ثُمَّ بِحُسْنِ الخُلُقِ ذَاكَ المَرْءُ يَزْدَانُ
فَحُسْنُ خُلُقِ الفَتَىٰ يُعْلِيهِ مَنْزِلَةً بَيْنَ الوَرَىٰ ، والتُّقَىٰ لِلْمَرْءِ بُنْيَانُ»(١)

نعم، إنَّ التَّقوىٰ حفظٌ للمرء في الدُّنيا وعملٌ يلقىٰ ثمرته في الآخرة، وحُسْنُ الخُلُقِ زينةٌ للمؤمن، وتحصيلهُ لا يكون إلاَّ بتقوىٰ يستقيمُ بها العلم، ويعتدل فلا يحيدُ عن الكتاب والسُّنَّة، فتتأثَّر بذلك القوىٰ الباعثة للأخلاق قوة الغضب وقوة الشَّهوة فتعتدل، ويكون نتاج ذلك الاعتدال اكتساب خُلُقَينِ حميدين هما أصل كلٍّ الأخلاق الحسنة وهما الشَّجاعة والعفَّة.

فمبادئ الأخلاق أربعة : قوَّة علمٍ، وقوَّة عدلٍ، وقوَّة غضبٍ، وقوَّة شهوةٍ.

وللأخلاق مصدران : الوراثة، والبيئة، فالإنسان يرث بعض الأخلاق من والديه، ويكتسب البعض الآخر من بيئته التي يعيش بها ومكوناتها، ووسائل اكتسابه الاعتياد والتَّعلُّم.

والخلق نوعان : خُلُقٌ حسنٌ، وخُلُقٌ سيئ.

وللخُلُقِ الحسن أربعة أركان : علمٌ يوافق كتاب اللهِ وسُنَّةَ رسوله، وشجاعةٌ، وعِفَّةٌ، وصبرٌ.

وأمَّا أركان سوء الخلق فهي : الجهل المعتم، أو العلم الضَّال المخالف للكتاب والسُّنَّة، والانحراف عن الاعتدال في قوتي الغضب والشَّهوة، والظُّلم.

---

(١) من قصيدة تفاؤل، ديوان اللآلئ والدرر في المواعظ والعبر للمؤلف.

وكما أنَّ للخُلُقِ الحَسَنِ ثمرات يجدُ صاحبهُ نعيمها في الدُّنيا والآخرة، فإنَّ لسوء الخُلُقِ عواقبَ يجدُ صاحبهُ مغبَّتها في الدُّنيا قبل الآخرة.

نسأل الله الهداية لمحاسن الأخلاق، والحماية من مساوئها، ونسأله ـ سبحانه ـ أن يُرينا الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبدالله بن حسين بن أحمد شفيل
ينبع الصناعية ص.ب: ٣١١١٧

"وَصَايَا مُحِب" (١)

تَدَافَقَ شِعْرِي لَكُمْ كَالسَّحَابْ   وَمَوْجٍ يَمُوجُ بِمَاءٍ عُبَابْ
فَيَا إِخْوَتِي جَاءَكُمْ قَاصِرٌ   فَكُفُّوا الْمَلاَمَ وَكُفُّوا العِتَابْ
وَيَا إِخْوَتِي جَاءَكُمْ نَاصِحٌ   يُرِيدُ الثَّوَابَ وَيَخْشَى العِقَابْ
مِنَ اللهِ جَلَّ عَلاَ شَأْنُهُ   وَيَرْجُوهُ جَنَّاتِ يَوْمِ الإِيَابْ
وَيَدْعُوهُ أَنْ يَصْرِفَ الشَّرَّ عَنْ   جَمِيعِ العِبَادِ وَيَحْمِي الْجَنَابْ
فَيَا رَبِّ يَا سَامِعاً لِلدُّعَا   وَيَا كَاشِفاً ضُرَّ كَرْبِ الْمُصَابْ
وَيَا مَنْ يُجِيبُ الْوَرَىٰ سُؤْلَهُمْ   وَيَا مَنْ يَمُنُّ بِغَيْرِ حِسَابْ
عَطَايَاكَ نَرْجُو إِلَهَ الوَرَىٰ   وَنَرْجُو رِضَاكَ وَنَرْجُو الثَّوَابْ
فَيَا رَبِّ يَسِّرْ أُمُورَ العِبَادْ   وَيَسِّرْ لِعَبْدِكَ حُسْنَ الخِطَابْ
خِطَابِي لِمَنْ يَرْضَ مِنِّي الخِطَابْ   وَيَأْمُلُ مِنِّي فَصِيحَ الْجَوَابْ
سَلاَمٌ مِنَ القَلْبِ عَذْبٌ فُرَاتْ   لِمَنْ بِالحَدِيثِ اهْتَدَىٰ والكِتَابْ
فَأَهْلاً وَسَهْلاً بِكُمْ مَرْحَباً   عِدَادَ الْبَرَايَا وَنَبْتَ الْهِضَابْ
تَزَوَّدْ أَخِي بِالتُّقَىٰ دَائِماً   فَتَقْوَىٰ الإِلَهِ تَقِيكَ العَذَابْ
فَكَمْ مِنْ تَقِيٍّ نَقِيٍّ عَلاَ   بِدُنْيَا الوَرَىٰ ، فِي الوَرَىٰ مُسْتَطَابْ
وَيَوْمَ الحِسَابِ يُلاَقِي الثَّوَابْ   وَيَسْهُلُ لَهُ يَوْمَ ذَاكَ الحِسَابْ
فَيَسْعَدُ سَعْداً بِمَا قَدْ جَنَىٰ   وَتَحْمِلُ يُمْنَاهُ ذَاكَ الكِتَابْ
وَيَسْمُو سُمُوّاً بِأَعْلَى الجِنَانْ   سُمُوّاً يَنَالُ بِهِ مَا أَصَابْ

(١) قصيدة «وصايا محب» للمؤلف .

فَأَرْضِ الإِلَهَ بِإِسْخَاطِ مَنْ ... يُرِيدُ الْهَوَىٰ، والخَنَا والخَرَابْ
سَتُفْلِحُ إِنْ أَنْتَ أَرْضَيْتَهُ ... نَعَمْ، وتَهُنْ يَوْمَ ذَاكَ الصِّعَابْ
فَجَاهِدْ أُخَيَّ بِإِرْضَائِهِ ... سَتَسْمُو إِذاً فَوْقَ تِلْكَ الرِّقَابْ
رِقَابِ العُصَاةِ وأَشْبَاهِهِمْ ... فَيَرْضَوْنَ عَنْكَ وتَغْدُو مُهَابْ
وسِرُّكَ فَاكْتُمْهُ لاَ تُبْدِيَنْهُ ... فَإِنْ تُظْهِرَنْهُ تَعِشْ في اكْتِئَابْ
فَإِنْ أُودِعَ السِّرُّ جَوْفَيْنِ قَطْ ... فَشَا في الورَىٰ مَا تَوَارَىٰ وذَابْ
ولاَ تَبْكِ مَا فَاتَ، بَلْ اغْتَنِمْ ... حَيَاتَكَ يا صَاحِ قَبْلَ الذَّهَابْ
فَلاَ تَأْسَ يَوْماً على ذَاهِبٍ ... فَأَيَّامُ عُمْرِكَ ذَا في ذِهَابْ
فَلاَ شَيْءَ أَغْلَىٰ مِنَ العُمْرِ في ... حَيَاتِكَ لاَ تَجْعَلَنْهُ خَرَابْ
فَدَاوِمْ على ذِكْرِ يَوْمِ الْبِلَىٰ ... فَمَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ كُلِّ بَابْ
فَإِنْ طَالَ عُمْرُ الفَتَىٰ في الوَرَىٰ ... فَلاَ شَكَّ أَنَّ الْبِلَىٰ في اقْتِرَابْ
فَكَمْ مِنْ ثَرِيٍّ حَوَاهُ الثَّرَىٰ ... وكَمْ مِنْ مَلِيكٍ عَلاَهُ التُّرَابْ
فَلَمْ يَصْطَحِبْ في الثَّرَىٰ مَالَهُ ... ولَمْ يَصْطَحِبْ مِنْ بَهِيِّ الثِّيَابْ
فَمَنْ بَاعَ دِينَ الْهُدَىٰ والتُّقَىٰ ... بِدُنْيَا الورَىٰ أَبَداً مَا أَصَابْ
فَلاَ تُشْبِعِ النَّفْسَ أَهْوَاءَهَا ... فَيَغْدُو التُّقَىٰ بِالْهَوَىٰ كَالسَّرَابْ
فَدَعْ مَا عَشِقْتَ فَإِنَّ الْهَوَىٰ ... يَقُودُ الفَتَىٰ لِلْخَنَا والْخَرَابْ
ودَعْ ذِكْرَ مَنْ هَامَتِ النَّفْسُ في ... هَوَاهَا، ودَعْ عَنْكَ عَزْفَ الرَّبَابْ
فَعَزْفُ الرَّبَابِ وقَوْلُ الْخَنَا ... يَقُودَانِ حَتْماً إِلىٰ مَا يُعَابْ
فَقَلْبُ الفَتَىٰ بِالْخَنَا والْغِنَا ... بَعِيدٌ عَنِ الْخَيْرِ بَلْ في حِجَابْ
مُحَالٌ عَلَىٰ الْمَرْءِ حُبُّ الغِنَا ... وفي قَلْبِهِ حُبُّ آيِ الكِتَابْ
فَحُبُّ الكِتَابِ بِتَطْبِيقِهِ ... وتَطْبِيقُ ذَا عِنْدَ قَلْبٍ يَبَابْ

يَبابٍ مِنَ اللَّهْوِ ، لَهْوِ الحَديثْ   وَلَكِنَّهُ لِلْهُدَى في اكْتِسَابْ
وأمْسِكْ لِسَانَكَ عَنْ فَاحِشٍ   مِنَ القَولِ ، أيضاً كَذَا والسِّبَابْ
وحَصِّنْ لِسَانَكَ قَبْلَ الكَلامْ   فَإِنْ صُنْتَهُ أَبداً لَنْ تُعَابْ
لِسَانَكَ لاَ تَذْكُرَنَّ بِهِ   عُيُوبَ العِبَادِ ، فَلِلنَّاسِ بَابْ
عَلَيْكَ ، فَعَيْبُكَ يا صَاحِبِي   كَثِيرٌ ولِلنَّاسِ أيضاً حِرَابْ
فَلاَ تَبْحَثَنْ عَنْ عُيُوبِ الورَى   فَإِنْ تَفْعَلَنْ تَكُ مِثْلَ الذُّبَابْ
فَإِنَّ الذُّبَابَ يُسِيلُ اللُّعَابْ   إِذَا مَا رَأَى جُرْحَ مَرْءٍ مُصَابْ
فَمَنْ كَالذُّبَابِ ابْنِ بِنْتِ الذُّبَابْ   يَرَى في العُيُوبِ أَلَذَّ اكْتِسَابْ
ولاَ تَضْحَكَنْ لِلسَّفِيهِ البَذِيْ   سَتَبْكِي دَماً إِنْ عَصَيْتَ الخِطَابْ
ولاَ تَصْحَبَنَّ الكَذُوبَ الَّذِي   تَكُونُ بِصُحْبَتِهِ في تَبَابْ
كَذَاكَ الحَسُودُ المَقِيتُ الَّذِي   تَعِيشُ بِرِفْقَتِهِ في اكْتِئَابْ
ولاَ تَقْعُدَنَّ مَعَ المُرْجِفِينْ   فَتَغْدُو بِإِرْجَافِهِمْ في اضْطِرَابْ
وكُنْ مُقْبِلاً مُخْبِتاً لِلَّذِي   يُطِيعُ الإِلَهَ رِضىً واحْتِسَابْ
لِذَاكَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ فَكُنْ   لَهُ دَائِماً يا أَخِي في طِلاَبْ
تَخَيَّرْ قَرِينَكَ ذَا واقْتَصِرْ   علىَ الصَّالِحِينَ فَذَاكَ الصَّوَابْ
فَكَمْ مِنْ قَرِينٍ غَدَا يَقْتَدِي   بِمَنْ يَرْتَضِي مِنْ دَنِيِّ الصِّحَابْ
فَأَهْلُ التُّقَى خَيْرُهُمْ ظَاهِرٌ   وأَهْلُ الرَّدَى خَيْرُهُمْ في حِجَابْ
ولاَ تَتْبَعِ النَّفْسَ أَهْوَاءَهَا   فَإِنْ أَنْتَ أَتْبَعْتَهَا تُسْتَرَابْ
فَكَمْ ضَاقَتِ النَّفْسُ ذَرْعاً بِمَنْ   تَظُنُّ بِأَنْ لَيْسَ فِيهِ صَوَابْ
وكَمْ هَامَتِ النَّفْسُ حُبّاً لِمَنْ   تَظُنُّ بِهِ سَفَهاً لاَ يُعَابْ
فَإِنْ أَنْتَ أَشْبَعْتَهَا مَا تَشَا   سَتَهْوِي إِلَيْكَ السِّهَامُ الصِّيَابْ

سِهَامٌ لأَهْلِ التُّقَىٰ والنُّهَىٰ ... مِنَ النَّقْدِ والذَّمِّ بَعْدَ العِتَابْ
فَارْصِدْ عُيُوبَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ ... تُدَوَّنَ ، وكُنْ لِلْخُطَا في حِسَابْ
وأَقْلِعْ عَنِ العَيْبِ بَلْ وانْتَبِهْ ... ولاَ تَحْسَبَنَّ الورَىٰ في غِيَابْ
مِنَ الشَّرِّ يا صَاحِ لاَ تَقْتَرِبْ ... سَتَلْقَى العَذَابَ بِذَا الاقْتِرَابْ
فَمَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ جَنَاهْ ... سَيَجْنِي النَّدَامَةَ يَوْمَ الإِيَابْ
فَلاَ تَظْلِمِ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ... فَمَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ إِلاَّ ذِئَابْ
ذِئَابُ الورَىٰ شَرُّهَا واسِعٌ ... تَرَىٰ في الأَذَىٰ مَا يُسِيلُ اللُّعَابْ
أَذَاهَا هُنَا يا أَخِي قَاصِرٌ ... لأَهْلِ التُّقَىٰ والْهُدَىٰ والصَّوَابْ
فَكُنْ يَا أَخِي حَاذِقًا واحْتَرِزْ ... فَكَمْ غَافِلٍ دِيسَ تَحْتَ التُّرَابْ
تَنَبَّهْ أَخِي لاَ تَكُنْ غَافِلاً ... يَصُبُّ بِأُذْنَيْكَ كُلُّ غُرَابْ
يَصُبُّ مِنَ القَوْلِ زُورًا وجَوْرْ ... ومِنْ سَيِّءِ الفِعْلِ كُلَّ خَرَابْ
فَمَنْ سَلَّمَ النَّفْسَ ذَاكَ الغُرَابْ ... يَمُرُّ بِهِ فَوْقَ جِيفِ الكِلاَبْ
فَيَا صَاحِ هَذِي وَصَايَا مُحِبْ ... فَخُذْ بِوَصِيَّتِهِ تُسْتَطَابْ
ولاَ تُشْبَطَنْ بِالَّذِي قَدْ جَنَىٰ ... مِنَ السَّهْوِ أَوْ مِنْ ذُنُوبٍ أَصَابْ
فَمَا قَدْ جَنَىٰ إِثْمُهُ قَاصِرٌ ... عَلَيْهِ ، وقَدْ آبَ مِنْهُ وتَابْ
إِلَىٰ اللهِ جَلَّ عَلاَ شَأْنُهُ ... ويَرْجُو مِنَ اللهِ حُسْنَ الثَّوَابْ
فَيَارَبِّ نَرْجُوكَ حُسْنَ الخِتَامْ ... ونَرْجُوكَ يَارَبِّ حُسْنَ الْجَوَابْ
جَوَابِ السُّؤَالِ بِيَوْمِ النُّشُورْ ... ويَسِّرْ لَنَا يَوْمَ ذَاكَ الحِسَابْ
وأَخْتِمُ قَوْلِي بِصَلَّىٰ الإِلَهْ ... علىٰ الْمُصْطَفَىٰ مَا تَوَالَىٰ السَّحَابْ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ الورَىٰ كُلِّهِمْ ... وآلٍ لِبَيْتٍ لَهُ والصِّحَابْ

فهرس المراجع

القرآن الكريم		
إحياء علوم الدِّين	للإمام أبي حامد الغزالي	مكتبة الإيمان بالمنصورة
الأدب المفرد	للإمام البخاري مراجعة: محمد فؤاد عبدالباقي	دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
التُّحفة العراقية	لشيخ الإسلام ابن تيمية	المطبعة السَّلفية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية.
تذكرة السَّامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلم	لابن جماعة. تحقيق وتعليق: السيد محمد هاشم	رمادي للنَّشر، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
تذكرة من اتقن	للشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله	مكتبة الطرفين، الطائف.
الجامع الصَّحيح	للإمام التِّرمذي تحقيق: أحمد شاكر.	دار إحياء التراث العربي، بيروت.
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع	للخطيب البغدادي. قدّم له وحققه: د. محمد عجاج الخطيب	مؤسسة الرِّسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
حلية طالب العلم	للشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد	دار الراية، الرياض، الطبعة الثَّانية ١٤٠٩هـ.
ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه.	شرح الدكتور يوسف فرحات	دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطَّبعة الأولى ١٤١٠هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
رياض الصَّالحين	للإمام النووي تحقيق الشَّيخ الألباني	المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.
سلسلة الأحاديث الصَّحيحة	للشيخ الألباني	المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة.
سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث مراجعة: محمد محي الدين عبدالحميد.	دار الفكر، بيروت.
شرح رياض الصَّالحين من كلام سيد المرسلين.	لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. إعداد وتقديم: د. عبدالله الطيار	دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
شعب الإيمان	أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: محمد السعيد زغلول	دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
		مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة

صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان.	محمد بن حيان بن أحمد التميمي البستي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط.	الثانية ١٤١٤هـ.
صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري.	تأليف: محمد ناصر الدين الألباني.	دار الصديق، الجبيل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
صحيح البخاري	للإمام البخاري	دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ
صحيح الجامع الصغير وزيادته.	للشيخ الألباني	المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية.
صحيح مسلم	للإمام مسلم بن الحجاج مراجعة: محمد فؤاد عبدالباقي	دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ.
الصمت.	لابن أبي الدنيا تحقيق: أبو إسحاق الحويني	دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.
عدة الصّابرين وذخيرة الشاكرين.	للإمام ابن القيم تحقيق: زكريا علي يوسف	دار الكتب العلمية ـ بيروت.
الفوائد	للإمام ابن القيم. تحقيق: د. ماهر منصور عبدالرزاق، وكمال علي الجمل	دار اليقين للنّشر والتّوزيع، مصر، المنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
القناعة	للإمام الدّينوري. تحقيق: عبدالله بن يوسف الجديع.	مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
اللآلئ والدرر في المواعظ والعبر.	عبدالله بن حسين شقيبل	ديوان شعر، تحت الطبع.
لسان العرب	لابن منظور	دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
مجموع الفتاوى	لشيخ الإسلام ابن تيمية	مكتبة ابن تيمية ـ الطبعة الثانية.
مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.	للإمام ابن القيم. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد النجدي.	دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٣هـ.
مسند الإمام أحمد	للإمام أحمد بن حنبل	مؤسسة قرطبة، مصر.
مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة	للإمام ابن القيم تحقيق: محمد حامد الفقي.	دار الكتب العلمية ـ بيروت.
منازل السّائرين	عبدالله الأنصاري الهروي	دار الكتب العلمية، بيروت،

		١٤٠٨هـ.
المنتقى من السُّنن المسندة.	عبدالله بن علي بن الجارد. مراجعة: عبدالله البارودي	مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
المنجد في اللغة والأعلام طبعة جديدة منقحة.		دار المشرق، بيروت، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة السادسة والثلاثون
نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء.	إعداد محمد بن حسن بن عقيل موسى.	دار الأندلس الخضراء للنّشر والتوزيع، جدّة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
الهِمَّة العالية معوقاتها ومقوماتها	محمد بن إبراهيم الحمد	دار القاسم، الرِّياض، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٧هـ.
الورع	عبدالله بن محمد أبوبكر القرشي البغدادي ابن أبي الدنيا. تحقيق: أبي عبدالله محمد بن حمد الحمود.	الدَّار السَّلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

فهرس المواضيع

المقدمة ٥
معنى الخُلُق ٧
مبادئ الأخلاق ٩
مصادر الخُلُق ١٧
أنواع الخُلُق ٢٤
حسن الخُلُق ٢٤
أركان حُسْنِ الخُلُق ٢٥
ثمرات حُسْنِ الخُلُق ٥٦
سوء الخُلُق ٦٠
أركان سُوء الخُلُق ٦٠
عواقبُ سُوءِ الخُلُق ٦٩
الخاتمة ٧٢
قصيدة : وصايا محب ٧٤
فهرس المراجع ٧٨
فهرس المواضيع ٨١